تميّزت العلاقات بين الجزائر و إسبانيا خلال النصف الأول من القرن السادس عشر بعدة أشكال، غَلب عليها طابع العداء المستمر، و هذا بسبب إخضاع الاسبان للسواحل الجزائرية منذ سنة 911هـ / 1505م، و احتلالهم إياها في ظل غياب سلطة جزائرية فعلية قويّة قادرة على حماية حدودها، لضعف الدولة الزيانية من جهة، و مسارعة بعض الزعامات و القوى المحلية للتعاون مع الاسبان من جهة ثانية.

فكان الاستنجاد بقوى خارجية تمثّلت في الدولة العثمانية، حيث و بعد ظهور الإخوة بربروس في سواحل المغرب الإسلامي، انضمّت الجزائر رسميا كإيالة تابعة للخلافة العثمانية، و بذلك تغيّرت طبيعة العلاقات بين الجزائر و إسبانيا و أخذت منحى آخر، من مرحلة المد الاسباني المتزايد، إلى محاولات جزائرية لتحرير سواحلها من الاحتلال ابتداءا من سنة 926هـ / 1520م، حيث أُفشلت كل المحاولات الاسبانية المتكررة على السواحل الجزائرية، و تم تحرير فعلي لبعض السواحل و المدن المحتلة.

فنتساءل عن الظروف التي تكونت فيها تلك العلاقات بين الجزائر و إسبانيا؟ و عن مميزاتها؟ و انعكاساتها على الطرفين في هذه الفترة (1519 – 1558م) ؟

1- حملة الدون هيغو دو مونكاد عام 1519 م:

لم تسلم الشواطئ الجزائرية طوال القرن السادس عشر الميلادي من الحملات الإسبانية، ومن أولى هذه الحملات كما ذكرنا في الفصل الأول حملة بيدرو نافارو على المرسى الكبير عام 1505م، ومسرغين عام 1507م، و وهران 1509م، وبجاية وعنابة عام 1510م، كما نجد حملة دييغو دوفيرا (Diego devera) على مدينة الجزائر عام 1516م، لتتوالى حملات أخرى نذكر منها حملة هيغو دي مونكاد Hugo Morino) (De Moncade سنة 1519م[1]، و التي تظافرت عدة أسباب جعلت إسبانيا تعلنها على الجزائر منها:

طموح إسبانيا إلى التوسع ونشر المسيحية خارج أوربا وخاصة في البلاد الإسلامية كان حافزا كبيرا لإسبانيا لتجديد حملاتها على الجزائر، خاصة بعد الفزع الذي ساد كل الأوساط الاسبانية و الأوربية عند إعلان انضمام الجزائر للخلافة الإسلامية العثمانية

1) يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوربا (1500– 1830)**، د. م. ج الجزائر، د.ت، ص 17.

و بالتالي وصول الخطر الإسلامي العثماني إلى هذا القسم الغربي من البحر المتوسط الذي يكاد يعتبره الاسبان بحكم استيلائهم على أهم المدن الساحلية الجزائرية وأغلب جزره و معظم السواحل الإيطالية بحرا إسبانيا[1].

كما كان لاستشهاد "الرايس عروج"(964هـ / 1518 م)، وظهور الأحلاف المحلية بالمغرب الأوسط مع إسبانيا، كتحالف حاكم وهران وحاكم إمارة تلمسان، و انشغال أمراء دويلات المغرب العربي في صراعاتهم الداخلية عاملا محفزا للاسبان[2].

أ) استعدادات الجانبين :

بعد فشل إسبانيا الذريع و هزيمتها سنة 1516م في حملة "دييغو دوفيرا" على مدينة الجزائر، عزمت على القيام بتجهيز حملة أشد وأعنف، بغية رد الاعتبار والحفاظ على مكانتها كقوة بحرية، وبأمر من الملك الإسباني شارلكان تم التجهيز لهذه الحملة حيث أسندت لنائبه في صقلية "هيغو دي مونكاد" ذي الجنسية الفرنسية[3].

ضمّت الحملة ثلاثين سفينة و ثمان سفن حربية و بعض القوارب الصغيرة، تحمل خمسة آلاف جندي من خيرة المحاربين الإسبان بالإضافة إلى بعض الشخصيات من الطبقة النافذة منهم عائلة القائد "غونزالفو فيرناندو" نائب ملك نابولي[4].

في أواخر شهر جويلية سنة 1519م، أبحرت الحملة متجهة من ميناء "جنوة" نحو مدينة بجاية ومنها إلى المرسى الكبير، بغية جمع باقي العدة، وقد استعانت بالقائد الاسباني "غونزالفو مارينو دي ريبيرا" (Gonzalvo Marino De Ribera) من أجل تسييرها و رسم خطّتها[5]، لأنه كان على دراية واسعة بجغرافيا المنطقة[6].

لمّا سمع سكان مدينة الجزائر بهذه الحملة أصابهم الخوف، فبدأوا في جمع ثرواتهم وأهاليهم، في محاولة منهم لمغادرة المدينة، لكن خير الدين خطب فيهم، ووحّدهم على كلمة الجهاد في سبيل الله وبثّ فيهم الحماسة، وبعد توحيد الصفوف

---

1) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا..**، مرجع سابق، ص ص 188 – 189.

2) نفسه، ص 189.

3) بوعزيز، مرجع سابق، ص 37.

4) كورين شوفالييه، **الثلاثون سنة الأولى..**، مرجع سابق، ص 40.

5) نفسه، ص 20.

6) المدني، المرجع السابق، ص 189.

انصرف إلى تحصين الثغور والبلاد، بالرغم من قلة العدّة والعتاد،[1] حيث كان عدد جنده خمسة آلاف جندي إلى ستة آلاف[2]، و بعد اطمئنانه على الجيش، اتّجه إلى رسم الخطة الحربية القاضية بترك 600 جندي داخل المدينة، أما الباقي فينتظرون نزول العدو إلى البر ثم مناوشته في شكل حرب كمائن، وبعد أن ينال التعب من الإسبان ينقضون عليهم من كل جهة[3].

ب) مجريات و نتائج الحملة:

رسا الأسطول الإسباني على ساحل مدينة الجزائر في 17 أوت 1519م، على يسار وادي الحراش متجها نحو "كدية الصابون"، و نزلت القوات الاسبانية، حيث تمّ تقسيم الجيش الاسباني إلى قسمين، و اصطفّت القوارب الحربية في صف واحد أمام المدينة و أصبحت مدينة الجزائر محاصرة من البر و البحر[4]، بعدها أرسل القائد الاسباني "مونكاد" إلى خير الدين يحثُّه على الاستسلام، فردّ عليه خير الدين بالرفض بكتاب يقول فيه: " السيف هو الذي يحكم بيننا، والذي ينتصر منّا يكون جديرا بحكم هذه المدينة"[5] وفور وصول رد خير الدين، أمر "مونكاد" جنده بمحاصرة المدينة، على أن يهاجم القسم الأول المدينة مباشرة من كدية الصابون، أما القسم الثاني فيهاجمها من الجنوب[6]، مدعما في كل ذلك بقوة الأمير الزياني "أبي حمو الثالث" الذي اتفق معه سابقا، و بالتالي محاصرة المدينة من كل الجهات[7].

كانت هذه الخطة ستسقط الجزائر لا محالة، لولا الخلاف الذي نشب بين قائد المدفعية "قونزالفو دي ريبيرا"، وقائد الحملة "مونكاد"، حيث كان الأول يريد الهجوم

---

1) علي آجقو، **محاضرات في تاريخ مؤسسات الدولة الجزائرية (1514 – 1837)**، ط2، باتنيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية، الجزائر، 1999، ص 23.

2) شوفالييه، مرجع سابق، ص 40.

3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة ...**، مرجع سابق، ص ص 189 – 190.

4) شوفالييه، المرجع السابق، ص 41

5) نفسه، ص 40.

6) المدني، المرجع السابق، ص 206.

7) شوفالييه، المرجع السابق، ص 41.

مباشرة بعد رد خير الدين، بينما فضّل الثاني انتظار الدعم الزياني[1]، وقد دام هذا الخلاف بين القادة الإسبان مدة ستة أيام كاملة[2].

لمّا سمع خير الذين بهذا الخلاف، انتهز الفرصة وقام بترك ستمائة جندي داخل المدينة لحمايتها[3]. و كوّن فرقة عسكرية من 500 جندي سار بها إلى موقع الجيش الإسباني وكان على حراسته جند قليل، فاقتحم جنود خير الدين المكان وحاصروه، وقتلوا الكثير من جنود الإسبان، وأشعلوا النيران في القوارب، وأصبح الأسطول مهددا في حد ذاته[4]. بهذه العملية تمكّن خير الدين من إفشال خطة الإسبان الذين اضطربوا، فأرسلوا قوة لمهاجمة خير الدين تاركين مواقعهم الدفاعية التي استغلها خير الدين وجيشه، فهاجموهم واستمرت المعركة مدة ثمانية أيام[5]. كما كان البحر خلال هذه المعركة مضطربا، حيث ارتفعت الأمواج، ما جعل الوصول إلى السفن أمرا مستحيلا، وتم انكسار الإسبان أمام قوة وصبر الجزائريين[6]. وازداد الأمر تعقيدا على الإسبان حين قام خير الدين بنقل المدافع الكبيرة ودك معسكرهم مدة 24 ساعة كاملة[7]، فتشتّت شملهم، وقتل منهم حوالي ثلاثة آلاف رجل[8]، وأسر الكثير و انتهت بذلك المعركة في الرابع والعشرين من شهر أوت لسنة 1519م[9] بانتصار الجزائريين، وفي السنة الموالية استولى خير الدين على مدينة القل بساحل الجزائر الشرقي، ثم بونة (عنابة) بعدها[10].

---

1) كان قد تولّى عبد الله الثاني مقاليد الحكم بعد وفاة أبيه أبي حمو الثالث 1518م، وانتهج سياسة مخالفة لسياسة والده، فالتزم الحياد متعاطفا مع الأتراك. **أنظر:** المدني، **حرب الثلاثمائة سنة ...**، مرجع سابق، ص 193.

2) عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا**، مرجع سابق، ص 77.

3) أحمد السليماني، **تاريخ مدينة الجزائر**، د. م. ج، الجزائر، د. ت، ص22.

4) عبد الرحمن الجيلالي، **تاريج الجزائر العام**، ج 3، مرجع سابق، ص 54.

5) المدني، المرجع السابق، ص 207 – 208.

6) Henri De Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515 - 1830)**,Op.cit , P 39.

7) شوفالييه، مرجع سابق، ص 42.

8) بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية..**، مرجع سابق، ص 37.

9) المدني، المرجع السابق، ص 192.

10) الجيلالي، المرجع السابق، ص 45.

يرجع بعض المؤرخين الغربيين مثل جون وولف [1]، سبب انهزام الإسبان إلى عاملين أساسيين هما سوء التسيير والتأخر في الهجوم إضافة إلى عدم استغلال فرصة وفاة عروج و سوء العوامل المناخية[2].

و يمكن عموما تسجيل كثير من النتائج التي ترتّبت عن هذه الحملة، منها: تشجيع خير الدين لإنشاء حكومة جزائرية، و رفع معنويات الجزائريين، وتمتين ثقتهم بقائدهم خير الدين، خاصة بعد فقدانهم للرايس عروج، إضافة للخسائر الفادحة في الجيش الإسباني بين الأسر والقتل والغرق، كما نشطت حركة البحرية الجزائرية، خاصة بعد وصولهم إلى سواحل كاتالونيا وجزر غربي المتوسط، و انضمام الجزائر نهائيا إلى الدولة العثمانية وتدعيمها بالجند [3].

2 - تحرير قلعة البنيون 1529م و تشييد ميناء الجزائر

كان وجود الحامية الاسبانية في حصن البنيون [4] على جزيرة الصخرة المحاذية لشواطئ مدينة الجزائر أمر يتناقض مع ما تتطلبه سيادة و أمن المدينة، لذا فقد قرر خير الدين بعد أن عاد لمدينة الجزائر و قضى على فتنة ابن القاضي، العمل على تحريرها من هاته القلعة العسكرية التي كانت كالشوكة في حلق كل جزائري[5].

---

1) وولف، **الجزائر و اوربا ..**، مرجع سابق، ص 33.

2) يرى ابو القاسم سعد الله أن هذا الأمر يتكرر في تفسيرات "جون وولف" و كثير من المؤرخين الغربيين، فالهزائم الأوربية أمام الجزائر مَردُّها دائما تقريبا للعوامل الطبيعية و ليس إلى مقاومة أو بطولة السكان أو الجيش! **أنظر**: وولف، المرجع السابق، ص 33.

3) الجيلالي، مرجع سابق، ص 46.

4) **حصن البنيون:** منذ أن قبل الشيخ سالم التومي سنة (1510– 1511م) على تسليم الجزر الصخرية المقابلة لمدينة الجزائرللاسبان، و بمجرد إمضاء الاتفاق أرسل الاسبان أحد المهرة من مهندسيهم العسكريين "مارتينو دي رنتيريا" (Martino De Reinteria)، فأشرف على بناء القلعة البحرية التي أصبحت تدعى "صخرة الجزائر" (Penon Dargel) على أنقاض منار إسلامي قديم "برج الفنار" كان قائما هناك لهداية السفن و إرشادها، و منذ ذلك الحين أصبحت مدينة الجزائر تحت رحمة مدافع الاسبان. **أنظر**: المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص ص 115– 116.

5) **ثورة ابن القاضي:** لما انتصر خير الدين على الاسبان في حملتهم على مدينة الجزائر سنة 1519م، ارتفع نجمه و علا صيته، و لمّا علم سلطان بني حفص بتونس "محمد بن الحسن" دخلته الغيرة، و اشتدَّ حذره من خير الدين، و شرع في الدسائس بينه و بين أحمد بن القاضي الغبريني=

و كان قد تعاقب على الحصن منذ إنشائه العديد من الحكام أولهم "بيدرو دي مينس" (Pedro De Meins)، و آخرهم "مارتان دي فيرغاس" (Martin De Fergas) في عهد شارل الخامس، و كان يتواجد في الحصن حامية تتكون من قرابة مائة و خمسين جندي أغلبهم كانوا بعائلاتهم إضافة للعبيد و الخدم، و كانت ظروف الحياة فيه غير مستقرة خاصة منذ أن فرض عروج حصارا عليه و منع تزويده بالماء و المؤونة[1].

وضع خير الدين مخطط استراتيجي يتمثل في خطوات أساسية من خلال تنفيذ المخطط السابق لشقيقه عروج بقطع الماء عن القلعة، لذلك كان على أفراد الحامية إحضار كل شيء إما من وهران أو من جزر البليار الاسبانية، إلاّ أن نزول الاسبان للمدينة استمر ما اضطر خير الدين للاجتماع بحاكم القلعة طالبا منه ضبط رجاله ضمن حدوده المسموح بها أو تعرضهم للقتل، بعدها أخذ خير الدين في الاستعلام و الاستعداد الحربي لمهاجمة الحصن بأن نصب المدفعية مقابل قلعة البنيون، وأرسل شخصين تظاهرا بالدخول في الدين المسيحي و دخلوا القلعة حيث استقبلهم سكان القلعة و أنزلوهم منزلة حسنة، و في أحد الأيام و بينما كان الجميع يحضرون القُداس صعدا على أحد الأبراج و أرسلوا إشارات، إلا أنهما فوجئا بخادمة فضحت أمرهما فشنقهم الاسبان على أحد الشُرف، حيث رآهم الناس، هذا المشهد جعل خير الدين يسرع في اتخاذ القرار بالهجوم على القلعة حيث بدأ بإطلاق نيران مدفعيته على الحصن يوم 6 ماي 1529م، و ردّ الاسبان بالمدفعية على المدينة، و نجحوا في تدمير جزء كبير من منارات المساجد من بينها منارة الجامع الكبير[2].

"سلطان كوكو" ببلاد زواوة، الذي أعلن الثورة و الانفصال، و استطاع طرد خير الدين الذي استقر في جيجل، و دخل ابن القاضي مدينة الجزائر و دام حكمه عليها ست سنوات (1520– 1527 م)– مع اختلاف بين المؤرخين في المدة بين خمس و 7 سنوات – إلى أن تمكّن خير الدين من العودة مجددا من جيجل بجيش جديد و بتأييد سلطان قلعة بني عباس، و هذا بعد أن فتح القل 1521م، ثم عنابة و قسنطينة سنة 1522م، و قد تمّ التَّخلُص من ابن القاضي من طرف أنصاره أنفسهم حين قتلوه في خيمته سنة 1527م، و انتهت بذلك الفتنة. **أنظر:** المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق ص ص 194 – 197. **أنظر أيضا:** شوفالييه، مرجع سابق، ص 46.

1) شوفالييه، المرجع السابق، ص 49.

2) نفسه، ص ص 50–51.

استمرّ القصف الجزائري للقلعة طيلة يوم الخميس و ليلة الجمعة بكامله حتى الفجر و لم تتمكن الرميات الأولى من التأثير كثيرا على الحصن و أسواره الصلبة، فَرُكِّزَ القصف من جديد على الأسوار الخارجية مدة 15 يوما بكاملها حتى سقط البرجين الموجودين في القلعة، و هدم السور المقابل للمدينة [1].

في نفس الوقت أمر خير الدين بتجهيز كل السفن الحربية و شحنها بالرجال و العتاد، و أذاع من خلال جواسيسه أنه سيبحر إلى السواحل الاسبانية من أجل الغزو و خرجت السفن فعلا من وراء صخور الجزائر و أخذت طريقها نحو الشمال، ثم عادت أدراجها [2]، و شرعت في محاصرة القلعة الاسبانية، و تمكن خير الدين بعدها من اقتحام القلعة برجاله، و أسر بها تسعين جنديا إسبانيا من بينهم قائد الحصن "دون مارتاس دي فارقاس" الذي مات في السجن بعد ثلاثة أشهر [3].

تم تهديم قلعة البنيون و لم يبقى منها سوى برجين فقط، و كلّف خير الدين الأسرى بإعادة بناء منارة مسجد خير الدين في العاصمة [4] و بناء الميناء [5]، حيث تمّ ربط الجزر ببعضها من خلال رصيف طويل، و خلال سنتين عمل أكثر من 2000 من العبيد و الأسرى في هذا المشروع العظيم، فاجتمعت الجزر الأربعة لتشكل رصيفا واسعا و هو ميناء الجزائر [6].

---

1) شوفالييه، مرجع سابق، ص51.

2) كليل، مرجع سابق، ص 118.

3) بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية..**، مرجع سابق، ص 38.

4) كليل، المرجع السابق، ص 119.

5) **ميناء الجزائر:** رغم أبعاده المحدودة – طوله 200 م تقريبا و عرضه 25 م، و ارتفاعه 4 أمتار– إلا أنه أصبح مصدر رعب للدول الأوربية إسبانيا خاصة، و تمَّ تدعيمه لاحقا ببناء سور يمتد على مسافة ثلاثة كيلومترات، به عدة أبراج للحراسة، كما استمرَّ بناء سور محيط بالمدينة لمدة 85 سنة و كان الدخول للمدينة يتم عن طريق خمسة أبواب رئيسية: باب الواد شمالا، باب عزون جنوبا، باب البحرية أو باب الجزيرة الذي يشرف على الميناء، أما باب الترسانة أو باب الصيادين، فيؤدي إلى دار الصناعة حيث تبنى السفن الشراعية الصغيرة، و أخيرا باب جديد الذي ينفتح على قلعة القصبة. **أنظر:** شوفالييه، المرجع السابق، ص 52. **و أنظر أيضا:** كليل، المرجع السابق، ص 120 .

6) شوفالييه، المرجع السابق، ص ص 52 – 53 .

3 - حملة أندري دوريا على شرشال 1531 م :

أ) أسباب الحملة و استعدادات الجانبين :

لم تتوقف إسبانيا عن محاولتها احتلال مدينة الجزائر، مما جعلها تقود حملة أخرى هي حملة "أندري دوريا" [1] (André Doria) في جويلية سنة 1531م [2]، وذلك للأسباب التالية:

- الحقد الصليبي الدفين على المسلمين، و محاولة ضرب الدولة الجزائرية الفتية التي ازدهرت ازدهارا باهرا [3]، والانتقام من الهزائم المتكررة بتوجيه حملة أخطر من الحملة السابقة التي قادها مونكادا [4].
- التخلص من مخاطر البحرية الجزائرية الناشئة في المتوسط [5]، بسبب تمكُّنِها من إنقاذ الأندلسيين وسيطرتها على البحر المتوسط، حيث تمكن خير الدين من انقاذ مائتي عائلة أندلسية بأموالها [6].

---

1) **أندري دوريا (1466 – 1560م):** بحَّار جنوي مرتزق، يملك أسطول من سفن الحرب المعدّة لخدمة الحكام الذين يقدمون المال و النفوذ، دخل في خدمة الملك الفرنسي فرنسوا الأول، ثم انضمّ إلى شارل الخامس، و قد استمرّت عائلة دوريا في خدمة ملوك إسبانيا خلال القرن 16م. **أنظر:** وولف مرجع سابق، ص 41.

2) نفسه، ص 99.

3) بفضل بناء رصيف الميناء الذي أصبح أكثر نشاطا و عملا، كما قام خير الدين ببناء رصيف آخر في شرشال لاحتوائها على ميناء طبيعي. **أنظر:** شوفالييه، مرجع سابق، ص 99.

4) الجيلالي، مرجع سابق، ص 51.

5) بعد نجاح خير الدين في استرجاع حصن البنيون، شن هجوما على سواحل إسبانيا، و أحرق بعض القرى الساحلية، و أسر العديد من الناس بينهم عائلة الكونت أوليفا، و تصدى الجنرال الاسباني فريدريك بورتوندو (Fréderic Portundo) لمقاومتهم، فانقلبوا عليه و قتلوه و أسروا ابنه و 12 مركبا بحريا، و كان من جملة القادة الاتراك المشاركين في هذا الانتصارفي معركة جزر البليار: صالح رايس، شعبان رايس، يوسف رايس، طاباقا رايس. **أنظر:** بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية** ..، مرجع سابق، ص 38.

6) كليل، مرجع سابق، ص 120.

أسند الملك شارلكان إلى القائد "أندري دوريا" مهمة قيادة هذه الحملة [1]، وقد شرع في الإعداد لها منذ 1530م بجنوة [2]، وفي شهر جويلية 1531م، غادر مرسى جنوة متجها نحو الساحل الجزائري [3] على رأس 20 سفينة شراعية حربية، تحمل على متنها ما يربوا عن 1500 جندي إسباني [4].

كانت الجزائر تتابع التحركات الأوربية باستمرار، ومنها تحركات دوريا، لكن خير الدين باشا كان يجهل الوجهة التي تقصدها هذه الحملة، فقام بإعداد أسطول من أربعين سفينة، وأعلن حالة النفير العام. قرّر دوريا توجيه الحملة إلى مدينة شرشال [5] كهدف استراتيجي لأنه كان على دراية بمدى ضعف الحامية بها وكان يعتقد أنه إذا احتلها فلن يستطيع خير الدين إخراجه منها [6].

ب) مجريات الحملة و نتائجها :

لما رأى أهالي مدينة شرشال اقتراب جيش الحملة من مدينتهم، عقدوا اجتماعا على عجل، قرروا من خلاله إخلاء المدينة من السكان بسرعة، وحشدوا القوى المسلحة في القلعة للدفاع عنها حتى يصلهم الدعم من مدينة الجزائر ومن داخل البلاد [7].

نزلت الجيوش الإسبانية بشرشال واستولوا عليها بسهولة، وتمكنوا من تحرير ما لا يقل عن 800 أسير مسيحي، ثم أعطيت الأوامر للجنود الإسبان بالعودة إلى سفنهم لعدم تلقيهم الإشارة المتفق عليها، وعدم الانصياع وراء السلب والنهب، وذلك خوفا من وصول

---

1) Fray Diego De Haèdo, **Histoire Des Rois D'Alger**, traduction de De Grammont, Adolph Joudan libraire, 1881, P 52.

2) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص 204.

3) Grammont, Op.Cit, p 37.

4) شوفالييه، مرجع سابق، ص 99.

5) **شرشال:** تقع بين مدينة الجزائر (120 كلم للغرب) و مدينة وهران، و كانت يومئذ من أكبر مراكز الدولة الجزائرية الحديثة بفضل مركزها الطبيعي الممتاز من جهة، و بفضل جهود عروج من قبل حيث حصّنها، و أقام بها قلعة، و اتخذّت منها الدولة الجزائرية مصنعا للعتاد و المؤونة، و معملا لصناعة الخشب. **أنظر:** المدني، المرجع السابق، ص 204.

6) نفسه، ص 204.

7) نفسه، ص 206.

الأسطول الجزائري [1]. لكن وعند انشغال الجنود الإسبان بنهب المدينة كان أهل البلد إضافة للمهاجرين الموريسكيين [2] المتحصنين بالقلعة يراقبون تحركاتهم، ويتحيّنون الفرصة حتى باغتوهم بنجاح، حيث فتحوا أبواب المدينة وأحاطوا بهم فأوقعوا منهم حوالي 1400 قتيل، و600 أسير، فيما فرّ منهم حوالي 300 جندي، هذه الهزيمة الجديدة جعلت دوريا لا يعرف ماذا يفعل؟ خاصة بعد سماعه بقرب وصول أسطول خير الدين لدعم سكان المدينة، فسارع إلى إنقاذ من معه [3]، و عندما وصل خير الدين بأسطوله كان العدو قد لاذ بالفرار فقرّر ملاحقته لكن دون جدوى، ولم يغنم خير الدين إلا سفينتين كانتا محملتين بالأسلحة والمؤونة [4].

كان من أبرز نتائج حملة دوريا :

– تعالي أصوات الأندلسيين كأهل بلنسية واستغاثتهم بخير الدين، الذي جهز أسطوله [5] وأنقذ ما يربو عن 70 ألف أندلسي دون أن يتمكن الإسبان من صدّه [6].

– أصبح خير الدين سيد الحوض الغربي للبحر المتوسط حيث اتخذ من جزر "هيار" (Hyeres) الاسبانية بالمحيط الأطلسي مقرا لأسطوله، وأصبح المُهدِّد الأول للقوة البحرية الإسبانية، ناهيك عن قوة رجاله أمثال ابنه بالتّبنّي حسن، و صالح رايس، و درغوث باشا، وسنان باشا، الذين غنموا الكثير من السفن الإسبانية والبرتغالية العائدة من العالم الجديد، وكان أغلبها محملا بالذهب [7].

---

1) Haèdo, Op.Cit, P 53.

2) وولف، مرجع سابق، ص 41.

3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة ...**، مرجع سابق، ص 206.

4) نفسه، ص ص 206 – 208.

5) سار خير الدين بعمارة بلغ عددها 36 سفينة، حتى بلغ السواحل الاسبانية، و كان يترك أكبر عدد من بحارته على الأرض الاسبانية، لكي يحمل مكانهم عددا من اللاجئين، حتى اذا ما أوصلهم عاد إلى إسبانيا ليأتي بغيرهم. **أنظر:** المدني، المرجع السابق، ص 208.

6) عبد الجليل التميمي، " **رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطـــان سليمان القانوني سنة 1541** " م. ت. م، ع3، جانفي 1975، تونس، ص 39.

7) المدني، المرجع السابق، ص 208.

– توجيه السلطان العثماني سليمان القانوني [1]– الذي كانت بلاده تخوض مواجهات بحرية ضد القوى الأوربية بقيادة اندري دوريا– فرمانا سنة 1533م، استنجد فيه بالقائد خير الدين جاء فيه: "رغبتي في توجيه عمل ضد إسبانيا، ضع مكانك رجلا جيدا عاقلا وأسرع إلينا وإذا لم تجد من تتوفر فيه القدرة أعلمنا" [2]، مانحا إياه رتبة " قبودان باشا" أي رتبة أمير البحر العام لجميع الأسطول العثماني [3]، و عند وصول الفرمان إلى خير الدين جمع علماء، مشايخ و أعيان مدينة الجزائر، و أخبرهم على عزمه تلبية الدعوة [4]، وقد استخلف خير الدين مكانه ابنه حسن آغا [5]، وتوجه إلى الباب العالي على رأس عشرة سفن شراعية حربية و عشرة "فيوستات" (Fustes) [6]، وبلغ وجهته يوم 16 أفريل 1533م، واستقبل هناك استقبال الأبطال ومنحه السلطان لقب بايلرباي [7].

---

1) **سليمان القانوني (1520 – 1566م):** أشهر سلاطين الخلافة العثمانية، تولى الحكم خلفا لأبيه السلطان سليم الأول، عاصر الملك الاسباني شارلكان، و ملك فرنسا فرنسوا الأول، بقي على رأس الخلافة العثمانية حتى وفاته سنة 1566م. **أنظر:** محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: احسان حقي، ط6، دار النفائس، بيروت، 1988، ص 251.

2) التر، مرجع سابق، ص 100.

3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة ...**، مرجع سابق، ص 210.

4) حيمر صالح، **التحالف الأوربي ضد الجزائر ...**، مرجع سابق، ص 50.

5) **محمد حسن آغا:** بيلرباي الجزائر بعد انتقال خير الدين للأستانة، ولد في سردينيا. قبض عليه خير الدين بارباروس عندما كان طفلا في حملات القرصنة على هذه الجزيرة، و بعد أن حرّره أوكل إليه عدة مناصب قيادية عسكرية نظرا لشجاعته. **أنظر:** شوفالييه، مرجع سابق، ص ص 104 – 105

6) تنوّعت أصناف سفن و مراكب الأسطول الجزائري تبعا للظروف و التطورات التي عرفتها البلاد و عرفها العصر نفسه، فالبعض منها كان يصنع في الجزائر، و البعض الآخر يشترى من الخارج، أو يصادر و يغنم في البحر، أو يقدم لها في شكل هدايا أو اتاوات، و يمكن التمييز بين عدة أنواع من السفن : كالقالير (La Gaère)، الغليوطة (La Galiote)، الغليون (le Galion)، الفوستة (La Fuste) و هي مركب سريع الحركة مزدوج يسير بالأشرعة و المجاديف. **أنظر:** بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 169 و ما بعدها.

7) المدني، المرجع السابق، ص 210.

4 – الصراع الجزائري – الاسباني على تونس (1534 – 1535 م)

أ) سيطرة خير الدين على تونس 1534 :

كانت تونس نظرا لموقعها الاستراتيجي في منطقة البحر الأبيض المتوسط، محل صراع عنيف بين الدولة العثمانية و إسبانيا طيلة القرن السادس عشر الميلادي[1].

و كانت تعيش اضطرابات داخلية سببها الصراع على السلطة، حيث لمّا تولّى الحكم "مولاي حسن" سنة 1526م، و بعد أن فتك بكل إخوته الذين لم ينجُ منهم سوى الرشيد ساءت سيرته بين الناس، و اضطربت عليه البلاد، و خرجت عن طاعته، فقد انحصر نفوذه حوالي سنة 1530م في الشمال الغربي من البلاد التونسية (الحالية)، كما انفصلت عنه المدن النائية مثل: سوسة، القيروان و عنابة، أما بقية الجهات فقد استعاد سكانها خاصة القبائل استقلالهم عن السلطة المركزية[2].

و قد لخّص ابن ابي دينار الأوضاع في تلك الفترة بقوله: "و قد خرجت عن طاعته مدينة سوسة، فقام فيها صهره القليعي، و قام عليه في القيروان الشيخ عرفة، و هو من قبيلة الشابيين، و في أيامه كانت قسنطينة في أيدي الترك، و تغلّبت الأعراب على جلِّ البلاد، و كانت الشوكة في أولاد سعيد، لأنهم استقلُّوا بالبلاد، و هادنهم السلطان الحسن بستين ألف دينار على الوطن "[3].

تمكّن المولى الرشيد من الفرار من أخيه السلطان و التجأ إلى خير الدين، فوجدها خير الدين فرصة، حيث اصطحبه معه إلى استانبول، و تمكّن من إقناع السلطان سليمان

---

1) تُشرف تونس من خلال موقعها على مضيق صقلية، كما تتوسط الساحل الشمالي لإفريقيا، و بالتالي فالذي يسيطر عليها يتمكّن من قطع المواصلات بين حوضي البحر المتوسط الشرقي و الغربي، فضلا عن كونها قريبة من مالطة، نابولي و صقلية، و هي مراسي تسمح للسفن الاسبانية بالتزود بالمؤونة و الخشب، كما أن موانئها تسمح بالتحكُّم في المواصلات البحرية في البحر المتوسط. **أنظر:** حيمر مرجع سابق، ص 51.

2) محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصورها ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تر: محمد الشاوش و محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص ص 64 – 65.

3) ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، **المؤنس في أخبار افريقيا و تونس**، ط3 دار المسيرة، بيروت، 1993، ص ص 183 – 184.

بمهاجمة تونس، خاصة و أن فتحها يمكّن الدولة العثمانية من بسط نفوذها على شمال افريقيا، لأن الجزائر من دون تونس لن تكون لها أهمية كبرى[1].

سمح السلطان العثماني لخير الدين بتجهيز أسطوله للهجوم على تونس، و أمدّه بثمانية آلاف جندي، و لما بلغ خير الدين عنابة، وجد في إنتظاره إمدادات جاء بها خليفته على الجزائر حسن آغا، ليصل أسطول خير الدين مدينة "بنزرت" التونسية في 15 أوت 1534م[2].

و حين علم المولى الحسن بذلك طلب النجدة من الأهالي، لكن الشعب التونسي كان ناقما عليه و على حكمه و لم يستجب لندائه، ليدخل خير الدين في اليوم الموالي "حلق الواد" دون عناء، و توجه بعدها إلى تونس التي فتحت له أبوابها و استقبله أهلها معتقدين قدوم الرشيد معه لتنصيبه على العرش، لكن خير الدين كان ينوي إلحاق تونس بدولة الخلافة العثمانية مباشرة، فلما علم الأهالي بذلك اتصلوا بمولاي حسن و طلبوا منه العودة إلى تونس و وعدوه بالمساعدة على طرد الأتراك، فتشجّع المولى الحسن و خرج إلى تونس يرافقه أربعة آلاف فارس، و بعد مواجهات عنيفة بين الطرفين في باب الجزيرة كانت الغلبة فيها لمولاي حسن، إضطر خير الدين إلى طلب إمدادات جديدة تمثّلت في ألف و ثمانمائة مقاتل مزودين بأسلحة نارية، فأُرغِم المولى الحسن على الفرار بعدما قُتِل من رجاله ثلاثمائة جندي، أما أهالي تونس فأعلنوا ولاءهم لخير الدين[3].

تم بذلك لخير الدين وضع تونس تحت سلطته، و أضحت ثاني دولة أتبعها للخلافة العثمانية بعد الجزائر، و نظرا للأهمية البالغة لتونس في الاستراتيجية الاسبانية، فقد كان رد الفعل الاسباني سريعا و قويا.

---

1) التر، مرجع سابق، ص 110.

2) رحيمة بيشي، **العلاقات السياسية التونسية الاسبانية في أواخر الدولة الحفصية (1494 – 1574م)**، مذكرة ماجستير، إشراف: شكيب بن حفري، جامعة غرداية، الجزائر 2011 – 2012 ، ص ص 45 – 46.

3) المجهول، **غزوات عروج و خير الدين**، تع: نورالدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية و المكتبة الأدبية، الجزائر، 1930، ص 92.

ب) حملة شارلكان على تونس 1535 م و احتلال عنابة :

ب) 1 – حملة شارلكان على تونس :

بعد أن أصبحت تونس تابعة للدولة العثمانية، لم يبقى لإسبانيا أي أمل في عزل الجزائر، لأن الوضع الجديد سيعزّز النفوذ العثماني بالجهة الغربية للبحر المتوسط و يمنع الاسبان من التحكم في مفاتيح البوابة بين شرق المتوسط و غربه، لذلك لم يبقى شارل الخامس مكتوف الأيدي أمام ذلك فسيّر حملة ضخمة إلى تونس تولى قيادتها بنفسه[1].

و قد حاول شارلكان استغلال إنشغال الدولة العثمانية في حربها ضد إيران و حجة استنجاد المولى حسن به لاسترجاع عرشه[2].

انطلق الأسطول الاسباني من برشلونة في 31 ماي 1535م[3]، و كان يضم أربعمائة سفينة من مختلف الأنواع و الأحجام، بما في ذلك تسعون سفينة على متنها ستة و عشرون ألف جندي من المشاة و قرابة ألفي فارس[4]، و ضمّت الحملة جنسيات مختلفة اسبانية، ايطالية، ألمانية و برتغالية، إضافة لفرسان مالطة، كما كان على رأس تلك القوات دوق ألبا، و "مركيز دي غواست"، و أمير ساليرنو، و الماركيز "دي موندیجار" حاكم عام مدينة غرناطة، و غيرهم من أبناء العائلات الاسبانية و الإيطالية النبيلة، بينما لم يكن مع خير الدين سوى سبعة آلاف جندي من الأتراك و نحو خمسة آلاف من التونسيين، وزّعهم في أماكن مختلفة[5].

و في 14 جوان 1535م، وصل الأسطول الاسباني إلى "حلق الواد" و بعد مواجهات عنيفة فقدت فيها القوات الاسبانية ستة آلاف جندي[6]، تمكّن الاسبان بعد تلقيهم نجدة

1) حيمر، مرجع سابق، ص 53.

2) محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقّي، دار النفائس، ط9 بيروت ص ص 222 – 223.

3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة ...**، مرجع سابق، ص 212.

4) مارمول كاريخال، **افريقيا**، مصدر سابق، ج 3، ص 34.

5) بيشي، مرجع سابق، ص ص 52 – 53.

6) المجهول، مصدر سابق، ص96.

تتألف من ألف و مائتي جندي [1] من الاستيلاء على حصن حلق الوادي في 14 جويلية 1535م، لتنتقل المعركة إلى مدينة تونس، و بينما كان خير الدين و جنوده منشغلين في إيقاف زحف القوات الأوربية، تمكّن الأسرى المسيحيون في مدينة تونس من التخلص من الأسر و انقضُّوا على قوات خير الدين من الخلف، ما اضطره للإنسحاب لأنه لا يمكنه الاستمرار في المعركة بمن بقي معه من الجنود، و اتّجه نحو مدينة عنابة حيث كان قد أَمَّن خطوطه الخلفية و ترك بها جزء من أسطوله، و بفضل هذه الاحتياطات الحكيمة رغم الهزيمة تمكن من إنقاذ أغلبية جيشه البالغ عدده ثلاثة آلاف جندي و ألفي فارس[2].

و لمّا دخل الإمبراطور شارلكان بمعية المولى الحسن إلى تونس يوم 21 جويلية 1535م، اشترط عليه استباحة المدينة ثلاثة أيام فالتزم له بذلك [3]، وتعرّضت المدينة لعمليات السلب و النهب، و هُدمت المساجد و أُحرقت الكتب النفيسة، و ارتكبت كل أنواع المحرمات [4]. يقول ابن ابي الضياف أنه في هذا اليوم: " يقال في هذه الواقعة مات الثلث من أهل تونس، و نجا الثلث، و أُسِر الثلث "[5].

رغم احتقار شارلكان للسلطان الحفصي الحسن ابو العباس الثاني، و علمه باحتقار التونسيين له، إلا أنه أعاد تنصيبه على عرش تونس تحت التبعية الاسبانية و وقَّع معه معاهدة الحماية يوم 6 أوت 1535 م، و التي نصّت بعض بنودها على[6]:

- الاعتراف بالحماية التونسية.
- السماح للاسبان بالسكن في جميع أنحاء القطر التونسي
- احتلال حلق الواد و إقامة حامية اسبانية.
- تنازل الملك الحفصي عن مدن عنابة و بنزرت و حلق الواد لبناء حاميات بها.

---

1) Elie De La Primoudaie, **"Compte Rendu d'une Lettre de L'Empereur Ecrite du Camp Devant la Goulette 29 juin 1535"**, R.A, Tome 19, 1875 p357.

2) بيشي، مرجع سابق، ص 63.

3) ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ج2، ص 14.

4) المحامي، مرجع سابق، ص 223.

5) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 14.

6) موريت بيار، سانياك فيليب، **الفتوحات الإسبانية من الاسترداد إلى الفتح**، ج3، تر:أحمد زكي عطا، الدار المغربية للنشر، دمشق، 1968، ص ص 255 و ما بعدها.

- طرد كل القراصنة من موانئ تونس.
- حق كل مسيحي في إقامة شعائره الدينية و بناء كنائس و أديرة.
- أن يدفع ضريبة سنوية من 12 ألف قطعة ذهبية.

استقبل العالم المسيحي خبر انتصار شارلكان في تونس بابتهاج عظيم، حيث أُعتبر هذا اليوم مشهودا في تاريخ المسيحية، و إذا كان بعض المؤرخين الأوربيين قد حاولوا تبرئة شارلكان من الفظائع التي ارتكبها الجيش، بقولهم أنه وافق على ذلك تحت ضغط جنوده، فإن ما جاء في الرسالة التي بعث بها شارلكان نفسه إلى حاكم بجاية يوم 23 جويلية 1535م ما يؤكد مسؤوليته عما حدث: " بما أن سكان مدينة تونس لم يقابلوا ملكهم كما يجب أن يكون، و كما هو واجبهم، فقد ارتأينا معاقبتهم لعنادهم و السماح بنهب المدينة "[1]، فهذه الرسالة تعتبر حُجَّةً ضدّ من يحاول تبرئة شارلكان من فضائع تونس.

ب) 2 – احتلال مدينة عنابة :

واصل الاسبان مشروعهم التوسعي في تونس من خلال إحكام قبضتهم على بنزرت وعنابة [2]، و هذا بعد التقرير التّجسُسِي الموجَّه للأمبراطور شارلكان في (942هـ / جويلية 1535م) و الذي يولي أهمية لمدينة عنابة [3]، و ذلك لخنق الجزائر اقتصاديا و خشية وقوعها في يد خير الدين [4].

أقلع "الدون ألفارو دي بازان" (Don Alvaro De Bazane) بأمر من شارلكان في 23 أوت 1535م، سابقا "دي موندیجار"، بأسطول يتكون من 15 سفينة في طريقه لعنابة حيث فوجئ بإطلاق نيران مدفعية أفراد الحامية التي تحصنت في قلعتها، و في 25 من نفس الشهر لحقه القائد الاسباني "دي موندیجار" بأسطوله المكوّن من ثلاثة آلاف رجل

---

1) Elie De La Primoudaie, **"Lettre de sa majesté au commandant de Bougie , Tunis, 23 juillet 1535 "** , R.A, Tome 19, 1875, p496.

2) **عنابة :** كانت تسمى (بونة)، تقع شمال شرق الجزائر، أسّست على يد الفينيقيين خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد، و سمّاها العرب عنابة نسبة إلى أشجار العناب. **أنظر:** شرفي، **مَعْلَمة الجزائر** مرجع سابــق، ص 310.

3) جاء فيه: " إن المدينة مثل بنزرت، لها وادي، بإمكان المراكب الدخول فيه و قضاء فصل الشتاء و أنها ذات موقع قوي يجب احتلالها". **أنظر:** بيشي، مرجع سابق، ص 73.

4) نفسه، ص 73.

شرعوا في الاستيلاء على القلعة و المدينة الخالية بعد أن غادرها سكانها مع خير الدين نحو الجزائر، و بعد التمكّن منها: "عاثوا في تلك الجهات فسادا يغيرون على أهلها من العرب، و يغنمون عددا من المواشي و العبيد و غير ذلك "[1]، و استمرت أعمال النهب ما بين سبعة و ثمانية أيام، ليغادرها "دي موندیجار" بعد ذلك تاركا حامية فيها ثمانمائة جندي تحت قيادة القبطان "ألفارو قوميز" (Alvaro Gomes) بناء على تعليمات الإمبراطور شارلكان، و بالرغم من ذلك لم يستطع الاسبان احتلال سوى مدينة عنابة دون المناطق المجاورة لها[2].

كان احتلال مدينة عنابة شرق الجزائر، كما كان غزو تلمسان غربا هو محاولة لتشديد الخناق على الجزائر، بسبب نشاط خير الدين المتواصل في غرب المتوسط بضرب الأهداف الاسبانية، إلا أن هذا الاحتلال كان متخلخلا و مهددا من طرف قوات حسن آغا المتمركزة في قسنطينة[3].

5- معركة بريفيزا و المفاوضات الجزائرية الاسبانية (1538 – 1541م)

أ) معركة بريفيزا 1538م

بعد احتلال شارلكان لتونس قرّر خير الدين الرد على ذلك بتوجيه ضربة عنيفة تحدّى فيها الاسبان في عقر دارهم، و اختار مدينة "ماهون" (Mahon)عاصمة جزر البليار هدفا لذلك فجهّز جيشا ضخما، و في غمرة احتفال الاسبان بالنصر في تونس انقضّ خير الدين على المدينة فجأة و استحوذ على غنائم كبيرة، ثم احتل "مينوركة"[4] بأكملها و عاد إلى مدينة الجزائر محمّلا بالغنائم مع عدد كبير من الاسرى يتراوح ما بين

---

1) مارمول، مصدر سابق، ج3، ص9 .

2) نفسه، ص9 .

3) المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**، ج2، دار القصبة، الجزائر، 2006 ص 94.

4) **مينوركة (Menorca):** احدى الجزر التي تؤلف جزر البليار الواقعة إلى الشرق من إسبانيا. **أنظر:** حمزة اسحاق زيتوني، **البحرية الجزائرية و تأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية 1519 – 1800م**، مذكرة ماجستير،إشراف: عمار بن خروف، جامعة غرداية، الجزائر 2011 – 2012، ص 49.

(6000 – 8000) شخص، و عاد بعدها إلى استانبول في 15 اكتوبر 1535م تلبية لطلب السلطان [1].

أحدث احتلال جزر البليار هلعا كبيرا في أوربا، و محى آثار انتصار شارلكان في تونس، لكن رغم ذلك فإن طموحات الملك الاسباني شارل الخامس لم تتوقف عند تونس بل سعى للسيطرة على الحوض الغربي للمتوسط رغم معاناته في أوربا [2]، و تجدد الحرب بينه و بين ملك فرنسا "فرانسوا الأول" [3] في هذه الفترة 1535 – 1536م [4]. لكن البابا "بول الثالث" (Paul III) تمكن من التأثير على فرانسوا الأول، و دفعه لتوقيع معاهدة مع شارلكان سنة 1538م مدتها عشر سنوات، و هذا ما سمح بتشكيل حلف مقدس لضرب العثمانيين [5]، ضم إسبانيا، البابوية، البندقية، و فرسان مالطة و ذلك في فيفري 1538م [6].

حيث شكّلت القوات المتحالفة أسطولا صليبيا ضم مائتي سفينة على متنها أكثر من 60 ألف رجل، بينما كان الأسطول العثماني بقيادة خير الدين يضم 130 سفينة على متنها 30

---

1) فكاير، مرجع سابق، ص 186.

2) De Grammont, **Histoire D'Alger..** , Op.cit, p56

3) **فرانسوا الأول:** ملك فرنسا، ولد سنة 1494م، اعتلى العرش سنة 1515م، كان قد تولى حكم مقاطعة أنغوليم (شمال بوردو في الجنوب الغربي لفرنسا) خلفا لأبيه، و حمل لقب كونت، ثم أصبح دوقا على منطقة الفالوا (Valois) شمال باريس، و انتقل إليه عرش فرنسا بعد وفاة عمه الملك "لويس الثاني عشر". **أنظر:** الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن 19 م**، تح: يحي بوعزيز، ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت، 1990، ص ص 64 – 65.

4) زحف شارلكان سنة 1536م على إقليم بروفانس (Provence) الفرنسي، و تمكّن من عبور الوار (War) و اكتساح المنطقة، و لم يتمكّن فرانسوا الأول ملك فرنسا من المقاومة فأمر بإخلاء المدن الفرنسية و إحراق المحاصيل الزراعية، و لم تبقى سوى آرل (Arl) و مرسيليا (Marseille) المحصنتين، و نجحت بذلك خطة فرانسوا في إحداث مجاعة رهيبة وسط الجيش الاسباني، و هلاك أكثر من 25 ألف شخص، و رغم هذا النجاح اضطر ملك فرنسا لطلب النجدة من السلطان العثماني سليمان. **أنظر:** Henri Garrot, **Histoire général de l'Algérie**, Livre XI, Période Turque, imp.p.Crescenzo, Alger, 1910, p 403.

5) حيمر، مرجع سابق، ص 49 .

6) وولف، مرجع سابق، ص 53.

ألف رجل، و كان اللقاء في خليج "أرتا" (Arta)، و بالضبط في "بريفيزا" [1] (Preveza) و قد أسفرت المواجهات عن تحطيم أربع سفن مسيحية منها سفينتين اسبانيتين، كما تمكن البحّارة المسلمون من الاستيلاء على قطعة تابعة للبابوية، و أخرى تابعة للبندقية، و أمام الخطر الذي يهدد أسطول "دوريا" فضّل هذا الأخير الانسحاب من المعركة، و انتهت بذلك معركة بريفيزا بانتصار الأسطول العثماني على قوات التحالف [2]، مما أدى إلى تصدُّع الحلف بعد انسحاب البنادقة، الذين سارعوا إلى طلب الهدنة، و لم تقبل الدولة العثمانية بعقدها معهم إلا سنة 1539م [3].

ب) المفاوضات الجزائرية–الإسبانية (1538 – 1541 م)

بعد هزيمة بريفيزا لجأت الدبلوماسية الاسبانية في علاقاتها بالجزائر إلى أساليب أخرى، كالخديعة و المناورات السياسية [4].

حيث حاول شارلكان استغلال طموحات خير الدين، و دَفْعِهِ إلى قطع صلته بالسلطان العثماني [5].

---

1) **بريفيزا (Preveza):** تقع على الساحل الشرقي للبحر الأيوني، إلى الشمال من خليج آرتا، و هي حاليا تابعة لليونان و تحتل موقعاً استراتيجياً على الشاطئ الشمالي. تبعد بريفيزا مسافة 21 كيلومترعن ليفكاذا، 48 كيلومتر عن آرتا، ومسافة 435 كيلومتر عن أثينا، ومن المعتقد أن تسمية بريفيزا تعود للغة الألبانية وهي مشتقة من كلمة تعني العبور أو مكان العبّارة. **أنظر:** حيمر، مرجع سابق، ص 53.

2) صحيح أن معركة بريفيزا لم تسجل مواجهات عسكرية عنيفة، لكن تأثيرها البسيكولوجي و السياسي كان أكثر من التأثير العسكري، فقد أحدثت صدمة نفسية لدى العالم المسيحي، جعلته يعاني من عقدة نقص استمرت لأكثر من ثلاثين سنة، و لم يتخلص منها إلا بعد معركة ليبانتو سنة 1571م. **أنظر:** Moulay Belhamissi, **Histoire de la marine Algérienne (1516 – 1830)**, E. N. A. L, Alger, 1983, p 144

3) Carrot, Op.cit, p 405

4) Watbled et Monnerrau, **" Négociation entre Charles-Quint et Kheir-eddine (1538 – 1540)"**, R.A, Alger, 1871, T15, p 139.

5) جاء في رسالة شارلكان التي بعث بها إلى خير الدين: " إن تنزيلك من منصبك كملك للجزائر لتكون بيلربايا عليها حسبما تقضي به التقاليد العثمانية يعتبر إهانة بالغة لك، و ها أنذا أعرض عليك أن تتخلى عن خدمة السلطان سليمان، على أن أجعلك ملكا وحيدا على كل البلاد الافريقية .. و ليكن معلوما لديك بأنني لا أريد أن تكون حليفا لي، بل يكفي أن تكون صديقا لي، و تقطع صلتك بالعثمانيين .. ". **أنظر:** بربروس، **مذكرات**، مصدر سابق، ص 193.

و بالتالي فقد كان هدف للاسبان الأساسي من هذه المفاوضات هو القضاء على التحالف العثماني – الجزائري، و بالتالي الانفراد بالجزائر و عزلها حتى تتمكّن من القضاء عليها[1].

انطلقت المفاوضات في شهر سبتمبر سنة 1538م، و أشرف عليها من الجانب الاسباني أندري دوريا الذي أرسل إلى خير الدين "الدون ألونصو دي ألاركون" (Alonso De Alarcon)، و "خوان قاليقو" (Juan Gallego) مستشار البحرية الاسبانية، ثم تواصلت المفاوضات في العاصمة العثمانية نفسها عن طريق الدكتور "روميرو" (D.Romero)، و الضابط "دي فارقارا" (De Vargara)[2]، و قد عرض المفاوضون الاسبان على خير الدين الاعتراف به كملك للجزائر، و التنازل له عن عنابة بجاية، و طرابلس، و حتى عن تونس مقابل تبعيته لإسبانيا، و التخلي عن موالاته للسلطان العثماني [3]، و قد استمرت تلك المفاوضات ثلاث سنوات، و تذكر المصادر الأوربية أن خير الدين طوال تلك المدة كان يُطلع السلطان على كل التفاصيل[4].

و قد أشارت مصادر أوربية أخرى إلى أن خير الدين تسلم الهدايا التي أرسلها الاسبان له، لكن السلطان العثماني أمر بإلقاء القبض على الدكتور "روميرو" الذي كان يشرف على الاتصالات بتهمة التحريض على الخيانة[5].

و أرجع المؤرخون الأوربيون فشل المفاوضات إلى الدور الذي لعبه ملك فرنسا فرانسوا الأول، الذي أطلع السلطان العثماني على المؤامرة[6]، لكن الراجح أن خير الدين لم يكن يفاوض الاسبان للتفاهم معهم بقدر ما كان يريد كسب الوقت استعدادا لمواجهة التهديدات الاسبانية المستمرة[7].

---

1) التر، مرجع سابق، ص ص 155-156.

2) Ruff Paul, **La Domination Espagnole a Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete (1534 – 1558)**, Leroux, Paris, 1900, p 69.

3) Watbled et Monnerrau ,Op.cit, p 140.

4) De Grammont, Op.cit, p57.

5) التر، المرجع السابق، ص 156.

6) مولاي بلحميسي، "**غارات شارل الخامس على مدينة الجزائر 948 هـ/1541م (بين المصادر الإسلامية والغربية)**"، مجلة الأصالة، العدد 7، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ص 96.

7) Watbled, Op.cit, p 145.

كما جـرت مفاوضـات أخرى بيـن حاكم وهران الكونـت "دالـكـوديـت"[1] (Le Conte D'Alcaudète) و حسن آغا في الجزائر، و حسب مذكرات خير الدين فإن هذه المفاوضات جاءت تتمّة لمفاوضاته مع شارل الخامس، و هو الذي طلب منه أن يتم الاتصال به عن طريق حسن آغا، فقد بعث إلى أندري دوريا قائلا : " إنني على استعداد للتفاوض معكم بشأن العرض الذي تقدم به ملككم، إلا أن هذا لا يمكن أن يتم في استانبول خوفا من وصول الخبر إلى السلطان فعليكم أن تبعثوا رسولا إلى نائبي بالجزائر ولدي حسن باي"[2]، و كان هدف الاسبان من وراء هذه الاتصالات هو أن يسلمهم حسن آغا مدينة الجزائر[3].

إن المصادر الأوربية حاولت إثبات صحة المفاوضات، للتشكيك في نزاهة و إخلاص حكام الجزائر، و رغم عدم تطرق أغلب المصادر الإسلامية لهذه الاتصالات إلا أنها مثّلت مظهرا للعلاقات بين الجزائر و إسبانيا[4].

6 – حملة شار لكان Charlls Quint 1541م:

أ) اسباب و دوافع الحملة :

لم تتوقف إسبانيا عن محاولاتها في الحرب ضد الجزائر بالرغم من الهزائم الفادحة التي تكبّدتها، فقادت سنة 1541م حملة تعتبر من أشهر الحملات الاسبانية التي تعرّضت لها مدينة الجزائر، و لعلّ ذلك يعود من دون شك إلى تزعّمها من قِبَل الإمبراطور شارلكان نفسه، و قد حظيت هذه الحملة بكثير من الكتابات خاصة من الجانب الإسلامي لعلّ من أهمها "مخطوط المحكمة"[5]، بينما أهمل مؤرخوا شارلكان الحديث عن هذه الغارة

---

1) **دالكوديت (Le Conte D'Alcaudète):** حاكم وهران الاسباني (1534 – 1558م)، كان له دور كبير في تثبيت الاحتلال الاسباني في الغرب الجزائري، قتل في حملته الأخيرة على مستغانم سنة 1558م. **أنظر:** الشافعي درويش، **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا..** مرجع سابق، ص 55.

2) بربروس، **مذكرات**، مصدر سابق، ص 194 .

3) De Grammont, Op.cit, p58.

4) الشافعي، المرجع السابق، ص 55 .

5) **مخطوط المحكمة:** نقل من التركية إلى العربية، و هو من تأليف أحد المعاصرين لايعرف اسمه منه نسختان، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1100، و نسخة في ذيل الغزوات عنوانها (هذا=

الفاشلة، و لم يتحدثوا عنها بشكل واسع [1]، وقد كان من بين أهم أسباب تجييش هذه الحملة:

– فشل المفاوضات والصلح الذي كان يحلم به شارلكان مع القائد خير الدين [2].

– محاولة القضاء على نشاط المسلمين في البحر المتوسط خاصة بعد غارة البحارة الجزائريين على سواحل إيطاليا وجزر الحوض الغربي [3].

– اتصال عملاء شارلكان بخليفة خير الدين، حسن آغا الذي أعدّ خطة لخداعهم وإيهامهم بتسليم المدينة لهم [4].

– العلاقة الفرنسية العثمانية الوطيدة خاصة بعد إبرام صلح 15 أوت 1519م ومساعدة خير الدين لملك فرنسا فرنسوا الأول، لذلك سعت إسبانيا لخرق هذه المعاهدة لأنها تشكل خطرا على مصالحها، وعقدت معها هدنة في 1538م، قبل أن تنهي العمل بها في معاهدة أخرى هي معاهدة نيس سنة 1535م [5].

– محاولة إسبانيا من تخفيف الضغط العثماني على أوربا خاصة النمسا و المجر، بتوجيه اهتمام السلطان العثماني سليمان القانوني إلى الحوض الغربي للمتوسط [6].

تاريخ قدوم لبلاندور إلى الجزائر)، توجد ترجمة له باللغة الفرنسية نشرت في المجلة الافريقية العدد35 سنة 1891، و هو يتحدث بالخصوص على حملة شارل الخامس ضد مدينة الجزائر سنة 1541م. **أنظر:** فكاير، **الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية..**، مرجع سابق، ص 412 .

1) نفسه، ص ص 69 – 70

2) وولف، مرجع سابق، ص 55.

3) بلحميسي، "**غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر..**" ، مرجع سابق، ص 94.

4) De Grammont, Op.Cit, P 58.

5) كان فرانسوا الأول ملك فرنسا يشعر بالخطر الاسباني المحدق به و ببلاده، فأبرم مع الدولة العثمانية معاهدة الامتيازات Les Capitulations المشهورة عام 1535م، و استنجد بالأساطيل العثمانية و الجزائرية، ضد إعتداءات قوات شارلكان على الشواطئ الفرنسية، و قاد خير الدين بنفسه قوات النجدة و فك الحصار على مدينتي نيس و طولون، و قضى فصل الشتاء هناك حتى تأكد من زوال الخطر الاسباني عامي 1543 – 1544م. **أنظر:** بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية**، مرجع سابق، ص ص 16– 17.

6) بلحميسي، المرجع السابق، ص 95.

– محاولة شارلكان رد الاعتبار للأسطول الإسباني الذي انكسر أمام مدينة الجزائر عدة مرات سنوات 1516 – 1519 – 1531 م[1].

- محاولة استغلال انشغال الدولة العثمانية بحروبها في النمسا والمجر، و كذا استغلال تواجد خير الدين في المشرق، الذي كان قد استدعي من طرف السلطان العثماني سليمان القانوني، ظنًّا منه أن غيابه ترك فراغا في الدولة الجزائرية، و حرمها معنويا من قوة شخصيته و سمعته[2].
- أما عن السبب الرئيسي والمباشر، فهو قيام حسن آغا بأسر مركبين إسبانيين عظيمين مملوءين بالغنائم، وقد كانا في طريقهما إلى بجاية، وبمجرد سماع أهل إسبانيا بهذه الحادثة ذهبوا إلى الملك وهدّدوه بإعطاء الملك لغيره[3].

ب) استعدادات إسبانيا:

دامت الاستعدادات الإسبانية عدة أشهر[4]، فبعد إرسال العيون للجزائر بغية معرفة نقاط القوة والضعف جاءوا بعدة تقارير منها تقرير حاكم بجاية إلى السيد "بيريزدي إيديا كاييز" (Perez De IdiaCacayz) في سنة 1536م[5] و الذي يذكر فيه: "أن عدد الجنود في مدينة الجزائر ألفان من الأتراك وسبعة أو ثمانية آلاف من مهاجري الأندلس في مدن الجزائر وملیانة وبقاع أخرى وضع بها بربروس حاميات، أما الحاكم فهو مرتد عن سردينيا اسمه حسن آغا، كما أن سور المدينة في ثلاث جهات تهدم وعلى مسافات شاسعة"[6].

إعتمادا على مختلف تقارير الجواسيس، و في بداية أوت 1541م، توجه شارلكان إلى كافة ولاته بنداء الانضمام إليه كما طلب سالفا إعانة مالية لتجهيز حملته، و قد ضمّ

---

1) بوعزيز، مرجع سابق، ص 15.

2) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص ص 251– 252.

3) وولف، مرجع سابق، ص 55.

4) بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 18.

5) للإطلاع على نص التقرير بالكامل. **أنظر:** De La Primaudie, **Document inédits..**, Op.cit, R.A, Alger, 1877, T21, pp 83 – 86.

6) المدني، المرجع السابق، ص 258.

أسطول شارلكان خمسمائة وستة عشر سفينة حسب بعض المصادر[1]. حيث يذهب "دو غرامون" إلى القول أنها أكبر حملات القرن السادس عشر لأنها حملة متنوعة من إسبانيا ألمانيا و إيطاليـــا، ضمّـــت كبار القادة العسكريين من أمثال "فيرديناند دي توليدو" (Ferdinand De Toledo) القائد العام للجيش الملكي، و "هيغو دي مونكاد" قائد فرسان القديس يوحنا، و أندريا دوريا، و "فرناند كورتيز"، و الكونت دالكوديت حاكم وهران، و الدون "فيرناند غونزاغ"(Fernand Gonzague) نائب ملك صقلية، و الدون "فيرناندو دي ميندوزا" (Fernand De Mendoza) حاكم حلق الوادي، و أخيرا حاكم ميلانو الماركيز "ديل فاستو" (Del Vasto)[2]، كما اصطحب شارلكان في حملته هاته كثير من أُسَر الضبّاط و الجنود من نساء و أطفال، للاستيطان في الجزائر بمجرد الاستيلاء عليها[3]، و تلقّى دعم البابوات في أوربا حيث أن البابا "يوحنا الثالث" نشر في البلاد الأوربية كلها أمرا باباويا يعلن فيه أن هذه الحملة إنما هي حملة صليبية، و أن واجب كل مؤمن بالمسيح مُخلِّص للنصرانية أن ينضمّ إليها[4].

بعد اكتمال الاستعدادات الإسبانية تحرك الأسطول من مرسى "ماهون" (Mahon) يوم 18 أكتوبر 948هـــ/1541م متجها إلى الجزائر التي وصلها بعد يومين من الانطلاق وأخذ في استعراض قوته أمامها[5].

ج) استعدادات الجزائر:

لمّا سمع حسن آغا بتجهيز الإسبان حملة عسكرية ضد الجزائر قام بإرسال نداء في سائر البلاد للمساندة، كما قام بتنصيب المدافع وبناء الأسوار المهدمة وتحصين بعض الثغور بالمدينة، كما قام بقطع الأشجار لكي لا يختفي وراءها العدو عند القتال، وجهّز الأسطول الجزائري الذي كان قد كوّن خير الدين فيه ثلاثون فرقاطة كما اتّصل ببعض

---

1) التر، مرجع سابق، ص 154.

2) عائشة محمة، **الأسرى الأوربيون في مدينة الجزائر و دورهم في العلاقات بين الجزائر و دول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس و السابع عشر للميلاد**، مذكرة ماجستير إشراف:عمار بن خروف، جامعة غرداية، الجزائر، 2011 – 2012، ص ص 89 – 90.

3) نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص 144 .

4) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص 260.

5) التر، المرجع السابق، ص154

زعماء المنطقة لتقديم يد العون عند الحاجة منهم شيوخ المدينة سعيد شريف، الحاج باشا، القائد أرسلان[1].

د) مجريات الحملة و انعكاساتها :

حين وصل الأسطول الإسباني إلى الجزائر ذعر الأهالي لمنظره، فأخذ حسين آغا يهدئهم، ويبث الطمأنينة في نفوسهم ويحرضهم على الجهاد، فسكن هلع الأهالي، وقام بتجهيز الجيش، وتوزيع الأسلحة، ولمّا شرع النصارى في النزول يوم الخميس 23 أكتوبر 1541م، اضطر المدافعون الجزائريون إلى التراجع للوراء بسبب القصف المدفعي المكثف نحوهم[2].

و بحلول الظلام، قرر حسن آغا الهجوم وضرب العدو، ففتح أبواب المدينة وخرج على رأس قوة كبيرة من المسلمين، وشنّ الهجوم في 24 أكتوبر، وتمّ له ذلك بنجاح، فألحق بالعدو أضرارا جسيمة، رغم القصف المتبادل، وقُدِّرت الخسائر بثلاثة آلاف قتيل [3]، عندها استيقظ الإمبراطور هلعا مخاطبا قادته مستغربا عن وقوف الجزائريين ندّا لهجماته[4].

وفي اليوم الموالي من المعركة، أرسل الملك شارلكان رسالة إلى حسن آغا يطلب فيها تسليم المدينة له، محاولا التقليل من شأنه، لإضعاف هِمّته[5]، لكن حسن آغا رد عليه قائلا: "إن الأخذ بنصائح العدو يُعدُّ حماقة، و أتمنى بإرادة الله عز وجل أن يكسب هذا العمل الشهرة الأبدية"[6].

غضب الإمبراطور عند وصول الرسالة إليه، وأمر بإنزال المدافع، وفي صباح اليوم الموالي بدأ الجيش الإسباني في التقدم حيث كان على رأس الجنود الإسبان "فيرناند كورتيز" بينما تولّى شارلكان مع قوات نبلاء الألمان قيادة الوسط، أما المؤخرة فقد عهد

---

1) مجهول، مصدر سابق، ص 157.

2) التر، مرجع سابق، ص 158.

3) مجهول، المصدر السابق، ص 158.

4) شوفالييه، مرجع سابق، ص 144.

5) جمال قنان، **نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر..**، مرجع سابق، ص 46.

6) ابن أشنهو، مرجع سابق، ص 199.

بها إلى "كاميل كاولوكا" (Camille Caoilloca) بقيادة القــوات الإيطالية وقوات مالطا[1].

وقد تمكنت القوات الاسبانية من احتلال برج مولاي حسن وكدية الصابون، حينها خرج المسلمون لقتال العدو، وانتصر الإسبان بسبب كثرة عددهم وانتقل بعدها شارلكان إلى "كدية الصابون" بحكم موقعها الاستراتيجي الذي يمكن من خلالها السيطرة على المدينة، ووصل إلى جسر العفرون، لكن في يوم الثلاثاء 24 أكتوبر ساءت الأحوال الجوية واضطرب البحر وانهمرت الأمطار غزيرة[2].

حيث يذكر صاحب كتاب الغزوات: "و أرسل الله ريحا عاصفا ساقت السحاب أمثال الجبال وأمطرت مطرا كالطوفان والبحر في زيادة والأمواج تتراكم كالجبال فغرقت الكثير من أجفانهم وعطبت على السواحل سفن كثيرة، عندئذ دهش الكفار وخُيِّل لهم أن القيامة... فلم يقدروا على الرمي ولو بمدفع"[3].

فكان لتقلّب المناخ الأثر الكبير في قلب موازين القوى لصالح المسلمين، حيث تقطّعت مراسي السفن و البواخر، و دفعت هذه العاصفة الهوجاء الأسطول الاسباني نحو الاتجاه المعاكس، و فقد الجنود الإسبان شجاعتهم [4] وأصابهم التعب والجوع حيث اضطروا إلى ذبح خيولهم للتغذي منها[5].

أما الجزائريون فقد استغلوا الفرصة وسارعوا للخروج من الحصار المفروض عليهم حيث خرجت فرقة بقيادة الحاج بشير في اليوم الموالي، واستطاعت أن تقضي على ميمنة الجيش الإسباني، واستطاع الجزائريون استدراج الطليعة الإيطالية التي لم ينج منها إلا القليل[6].

في هذه الظروف أرسل أندري دوريا إلى الإمبراطور في الخامس والعشرين من الشهر نفسه يطلب منه الانسحاب إلى رأس ماتيفو الذي يحميه من القوات الجزائرية

---

1) التر، مرجع سابق، ص 158.

2) De Grammont, Op.Cit, P 68.

3) مجهول، مصدر سابق، ص 212.

4) شوفالييه، مرجع سابق، ص 116.

5) بن أشنهو، مرجع سابق، ص 200.

6) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص 262.

فترجّل الجيش منسحبا بمحاذاة الساحل بسبب هيجان البحر حتى وصل إلى وداي الحراش فقضى ليلته هناك، ولم يتمكن من العبور إلاّ في 28 أكتوبر على حطام السفن، بسبب ارتفاع منسوب المياه فيه، وأثناء انسحابه عقد شارلكان مجلسا حربيا للنظر في نتائج وعواقب الحملة، وقد حاول القائد "كورتيز" التخفيف من ثقل الخسائر وحاول إقناع الملك بتجهيز حملة أخرى لاحتلال المدينة، لكن "دوريا" عارض بشدة، وعرض على شارلكان الرحيل إلى بجاية، وهو ما تمّ بالفعل [1].

بعدها غادر شارلكان ميناء بجاية نهائيا في 23 نوفمبر متجها إلى برشلونة، وتذكر بعض المصادر أن الملك شارلكان شوهد وهو يبكي، وما إن وضع رجله في السفينة حتى سقط التاج من على رأسه فالتقطه ورماه في البحر [2].

يمكن القول أن هذه الحملة كانت من أكبر الحملات الأوربية على الجزائر، كيف لا وهي التي شهدت مشاركة دول أوربية كثيرة مُتّحدة تحت لواء الكنيسة وتحت راية الإمبراطور شارلكان، و قد كان من أبرز نتائجها:

- الخسائر البشرية الكبيرة في صفوف الإسبان، و التي فاقت الـــ 12 ألف رجل بين قتيل وجريح، إضافة لتحطيم الأسطول الإسباني، وكل العدة، الأسلحة الذخيرة، والأدوات، منها أربعة آلاف من الخيل [3].
- انقاذ الأسرى المسلمين الذين كانوا يعملون في السفن الإسبانية كعبيد، واستشهاد ما يزيد عن الألفين مجاهد جزائري [4].
- ترسيخ الوجود العثماني في الجزائر أكثر من أي وقت مضى، كما تحوّل موقف الاسبان من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع، إذ ما لبثوا أن فقدوا مدينة بجاية و اشتدّت الحملات الجزائرية التحريرية على وهران و المرسى الكبير، كما تفرّغ حكام الجزائر إلى توطيد نفوذهم بإتجاه الشرق، الغرب و الجنوب [5].

---

1) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج 2، د. م. ج، الجزائر، ص 46.
2) التر، مرجع سابق، ص ص 165ـــ 166.
3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص ص 268– 269
4) ابن أشنهو، مرجع سابق، ص ص 201 – 202.
5) بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب ..**، مرجع سابق، ص 31.

- اكتساب الجزائر سمعة وشهرة عالمية وأصبح لقائدها وأسطولها دور بارز في البحر المتوسط[1].
- سيطرة الجزائر على البحر المتوسط، الأمر الذي ولّد النقمة الأوربية وسيدفع الدول الأوربية إلى شن حملات عسكرية متتالية[2].

7 – القضاء على عملاء الاسبان و توطيد الحكم الجزائري بعد سنة 1541 م

تعّززت مكانة النظام الجزائري لدى الشعب بعد الانتصار ضد قوات التحالف الأوربي بقيادة شارلكان سنة 1541م، و عمل حكام الجزائر بعد ذلك على توسيع سلطتهم لتشمل كامل الأقاليم التي لم تخضع بعد للحكم المركزي، بسبب تبعية بعضهم للاسبان في وهران، أو بسسب أطماع الدول المجاورة فيها، كمحاولة الدولة السعدية الناشئة في المغرب ضم تلمسان.

أ) إخضاع بلاد القبائل 1542م و محاولات تحرير وهران:

كانت البداية بإخضاع إمارة جبل كوكو التي يحكمها أحمد ابن القاضي، و ذلك في أفريل 1542م [3]، حيث قرّر حسن آغا معاقبة أحمد بن القاضي بسبب تعاونه مع الاسبان[4]، فسيّر حملة ضده في 948هـ/ أفريل 1542م، ضمّت حوالي ستة آلاف(ثلاثة آلاف جندي تركي، و ألفي رجل من فرسان الأهالي، و ألف من المشاة)، مدعومين باثنتى عشر مدفعا، لكن ابن القاضي لما رأى أنه غير قادر على مجابهة هذه القوات، قرَّر الخضوع من دون قتال، و قدّم لحسن آغا كمية كبيرة من المال و الأبقار و الجِمال و الأغنام، مع إلتزامه بدفع ضريبة سنوية، كما قدّم ابنه أحمد البالغ 15 سنة كرهينة[5].

---

1) صالح فركوس، **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد االفنيقيين إلى خروج الاستعمار الفرنسي (714 ق م –1962م)**، العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص 114.

2) السليماني، مرجع سابق، ص 22.

3) Haèdo, Op.cit, p 65.

4) ذكر هايدو أن أحمد بن القاضي خلال حملة شارلكان على الجزائر سنة 1541م، خرج على رأس قوة من ألفي جندي و عدد كبير من الفرسان متجها إلى الجزائر لمساعدة الاسبان، و في الطريق وصلته أنباء عن هزيمة قوات التحالف الأوربي فعاد مسرعا إلى معقله. **أنظر:** Ibid, p 72

5) بلحميسي، "**غارة شال الخامس على مدينة الجزائر ..** "، مرجع سابق، ص 5.

و من بلاد القبائل توجه حسن آغا نحو منطقة الحضنة ببسكرة و ما جاورها من بلاد الزيبان في محاولة لتوحيد البلاد، و كانت النتيجة دخول كل هذه المناطق تحت طاعته دون عناء [1].

كما أرسل حسن آغا قوة عسكرية إلى وهران في شهر جويلية سنة 1542م، من أجل تحرير المرسى الكبير من الاسبان، حيث وقعت اشتباكات بين الطرفين انتهت بانسحاب القوات الجزائرية، و رغم فشله في تحرير المرسى الكبير، لم يتوقف عن مواجهة الإسبان في الغرب الجزائري، فتوجّه إلى مدينة تلمسان [2].

ب) الصراع على عرش الدولة الزيانية :

كانت تلمسان تشهد صراعا سياسيا على العرش [3]، بين "أبو محمد عبد الله" و أخوه "أبو زيان أحمد"، ولدي "أبو محمد عبد الله"، و انتهى هذا الصراع باستيلاء الابن الأكبر "أبو عبد الله" على الحكم، الذي أعلن ولاءه للإسبان [4].

توجّه حسن آغا نحو تلمسان في أواخر سنة 1542م، بهدف تضييق الخناق على الاسبان في الغرب الجزائري، فدخلها و أبعد ابا محمد عبد الله، و نصّب مكانه أخاه ابا زيان أحمد تابعا له، ثم عاد إلى مدينة الجزائر [5]، بعد أن خضعت له جميع القبائل المتواجدة في الغرب الجزائري، باستثناء قبيلة بني عامر، و بذلك أصبح الإسبان محصورين في الساحل الجزائري الغربي [6].

استغل الاسبان استنجاد أبو عبد الله بهم ضد أخيه من أجل توسيع دائرة نفوذهم بإخضاع تلمسان لسيطرتهم، فأمدّ حاكم وهران الاسباني "الكونت دالكوديت"، ابا عبد الله بالقوة العسكرية و خاض هذا الأخير معركة عسكرية ضد أخيه أبا زيان في جانفي سنة 1543م، لكنه انهزم، لذلك قرّر دالكوديت توجيه حملة ضخمة ضد تلمسان يتولى قيادتها بنفسه [7]، حيث اتّجه إليها في 27 جانفي 1543م، على رأس قوة عسكرية تتكون من

1) Ernest Mercier, **Histoire de L'Afrique..**, Op.cit, p 55.

2) بن خروف، مرجع سابق، ص 33.

3) مارمول، مصدر سابق، ج 2، ص 313.

4) التر، مرجع سابق، ص ص 168 – 169.

5) De Grammont, Op.cit, p69.

6) التر، المرجع السابق، ص 169.

7) فكاير، مرجع سابق، ص 123.

أربعة عشر ألف جندي و خمسمائة فارس [1]، إضافة إلى جيش الأمير الزياني محمد السابع المتعاون [2].

و في السابع و العشرين من شهر فيفري عام 1543م، وصلت القوات الإسبانية إلى تلمسان ودخلوا بعد ثلاثة أيام في صراع مع قوات أبي زيان البالغ عددها ثمانية آلاف و أربعمائة جندي [3]، انتهى الأمر إلى هزيمة أبي زيان وانسحابه من تلمسان إلى القلعة[4].

و أعلن عن إعادة تنصيب محمد السابع على العرش الذي أبرم مع دالكوديت معاهدة يوم 26 فيفري يعلن فيها ولاءه للامبراطور [5]، و تعرّضت المدينة لمختلف عمليات السلب و النهب، و انتهاك الحرمات، و الاعتداء على المقدسات [6].

بالرغم من الخسائر البشرية التي تكبدها دالكوديت أثناء عودته من تلمسان متجها إلى وهران، ظل متمسكا بنزعته التوسعية فاتجه إلى مستغانم لاحتلالها [7]، لأنها كانت تمثل الموقع الأمامي للدولة الجزائرية في الجهة الغربية، و قاعدة البحرية للسفن الجزائرية في شن حملاتها على القواعد الاسبانية غرب الجزائر خاصة مدينة وهران [8] فأعد دالكوديت جيشا قويا يتكون من سبعة آلاف جندي، بالإضافة إلى عدد من الخيالة ومؤونة تكفي لأربعة أيام، وفي أواخر شهر مارس من عام 1543م، خرج إلى مستغانم ليصل إلى أرزيو القديمة، وتمكن من احتلال مزغران الذي مكث فيها ثلاثة أيام [9].

استغل الملك المخلوع "أبا زيان" المتعاون مع السلطة العثمانية في مدينة الجزائر انشغال الاسبان بحملتهم على مستغانم سنة 1543م، و تقدّم نحو تلمسان لاسترجاع عرشه

---

1) Haèdo, Op.cit, p67.
2) ibid, p 74.
3) التر، مرجع سابق، ص 169.
4) تذكر بعض المصادر أن الانسحاب كان إلى إلى منطقة أنقاد (Angad) و هو سهل يقع وراء الجبال المحيطة بتلمسان من الجنوب و الغرب. **أنظر:** حيمر، مرجع سابق، ص 103.
5) فكاير، مرجع سابق، ص 125.
6) يحي بوعزيز، "**المراحل و الأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (1236 – 1554)**" الأصالة، ع 26، جويلية – أوت 1975، ص 26.
7) التر، المرجع السابق، ص 169.
8) Molay Belhamissi,**"Histoire de Mostaganem"**, C. N. E. H, Alger, 1976 p 73.
9) Belhamissi, Op.cit, P 70.

و حاصرها، فخرج إليه أبو عبد الله محمد و قاتله خارج المدينة، و انتصر عليه لكنه عندما كان راجعا إلى تلمسان، أغلق السكان أبوابها في وجهه، لقبوله التحالف مع الاسبان، ثم ظفروا به و قتلوه، و استدعوا أبا زيان ليحكمهم، و استقبلوه بحفاوة كبيرة[1].

أسرع "أبو عبد الله محمد" إلى وهران لطلب النجدة مرة ثانية من الكونت دالكوديت الذي لم يتردّد في الاستجابة فخرج على رأس جيش يتألف من ألفي جندي من المشاة بالإضافة إلى عدد من قطع المدفعية، متوجها عبر وادي تليلات إلى معسكر حيث كانت قوات أبي زيان معسكرة هناك و المؤلفة من ألفين و أربعمائة مقاتل[2].

جرت معركة بين الفريقين، انتهت لصالح جيش أبي زيان، ما أجبر دالكوديت على الانسحاب والعودة إلى وهران مع حلول الليل حتى يتفادى الهجمات، غير أن مخططه فشل لأنه ما إن بدأ في الانسحاب حتى تعقّبته القبائل من المرتفعات وفاجأته بالهجوم ولذلك لم يتمكن الإسبان من دخول وهران إلا في الفاتح من أفريل[3].

أعدّ دالكوديت حملة أخرى على مستغانم خلال أوت 1547م فحاصر المدينة، لكنه فشل بسبب المساعدات والامدادات التي وصلت من تلمسان، عندها اضطر إلى الانسحاب مجددا إلى وهران[4].

و بعد عودة ابا زيان لعرشه، سرعان ما أظهر ولاءه للاسبان، لذلك عزله سكان المدينة، و بايعوا أخاه الحسن الزياني مكانه، فهرب ابو زيان إلى وهران يستنجد بالاسبان، فلم يتردد دالكوديت في تزويده بقوة اسبانية مكنته من استرجاع عرشه المتداعي سنة 1547م تحت تبعية الاسبان[5].

---

1) فكاير، مرجع سابق، ص 126.

2) Ruff, Op.cit, p 110.

3) خليل ساحلي أوغلي، **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني**، مركز الأبحاث التاريخية والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 2000، ص 320.

4) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص 302.

5) يحي بوعزيز، " **المراحل و الأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد..** "، مرجع سابق ص ص 26 – 27.

ج) استرجاع تلمسان للجزائر 1554 م:

ظلّت الدولة الجزائرية متمسكة بدعم حكام و زعماء تلمسان، متى ما أبدى هؤلاء الاستعداد للتعاون معها ضد الاسبان، دون أن تعمل على إزالة الدولة الزيانية، و هذا إلى غاية ظهور خطر الدولة السعدية [1] الناشئة بالمغرب الأقصى، التي سعت لتوسيع نفوذها نحو تلمسان، ما دفع قادة الجزائر للتفكير جديا في ضم تلمسان للسيادة الجزائرية و وضع حد نهائي للدولة الزيانية المتهالكة [2].

حيث سعى مؤسس الدولة السعدية، "الشريف محمد المهدي" احتلال تلمسان و جهّز جيشا سنة 1550م، مكوّنا من ألفي و مائتي فارس و عشرة آلاف من المشاة، تحت قيادة ولديه محمد الحران و مولاي عبد القادر [3].

و بعد حصار دام تسعة اشهر تمكن الجيش السعدي من دخول المدينة في العاشر جوان سنة 1551م، و واصل زحفه نحو مستغانم و احتلها، و أخذ بالتقدم نحو الجزائر ما يؤكد النوايا العدوانية للسعديين [4].

---

1) **الدولة السعدية:**(956- 1065هـ / 1549- 1654م) أسّستها أسرة علوية من الأشراف الحسنيين في المغرب، حيث أحدث زوال الدولتين المرينية والوطاسية فراغاً سياسيًا في المغرب، فرأى الناس ضرورة الالتفاف حول أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله ــ في منطقة السوس ــ تغلغلت الدولة في عهد المنصور الذهبي (ت1012هـ، 1603م) إلى بلدان غربي إفريقيا، إلى أن وضعت يدها على دولة صنغاي الإسلامية في غربي إفريقيا (999-1028هـ/ 1590-1619م). و قد تضافرت عدة عوامل على زوال هذه الدولة لتخلفها دولة الأشراف العلوية الفلالية. **أنظر: الموسوعة العربية الشاملة** مرجع سابق.

2) حيمر، مرجع سابق، ص 107.

3) اختلفت الآراء حول حقيقة الحملة المغربية، فيذكر هايدو أن أهل تلمسان هم من طلب النجدة المغربية لتخليصهم من حاكمهم الموالي للاسبان (ص 83)، بينما يذكر دي غرامون بأنه تم عقد اتفاق بين المولى عبد القادر و حسن باشا يقضي بتوجه الجيش السعدي إلى عين تيموشنت حيث يلتقي بالجيش الجزائري ليعملا معا على طرد الاسبان من وهران (ص 76)، و إذا رجح الراي الثاني فإنه يمكن القول أن طموحات سلطان فاس في احتلال تلمسان هي التي ربما جعلته يخرق الاتفاق.

4) Mercier, Op.cit, p 71

كان حسن باشا في طريقه إلى وهران لتحريرها من الاسبان، حين وصله خبر احتلال تلمسان و مستغانم من طرف السعديين، و توجههم نحو الجزائر، لِيُغيّر الجيش الجزائري وجهته من وهران إلى تلمسان، و التقى الطرفان في حوض الشلف[1].

و دارت بينهما مواجهات عنيفة، انتهت بانهزام السعديين و انسحابهم، و خوفا من زحف الجيش الجزائري على الأراضي المغربية أرسل "الشريف المهدي" المدد لجيشه قوامه عشرون ألف رجل تحت قيادة ابنه عبد القادر، و التقى بالجيش الجزائري قرب قبة سيدي موسى، حيث دارت معركة عنيفة أخرى أُصِيب فيها عبد القادر برصاصة أردته قتيلا و إضطر الجيش السعدي للانسحاب، و عندئذ عاد الجزائريون إلى تلمسان و نصَّبُوا على العرش الأمير "الحسن بن عبد الله الثاني"، الذي لم يكن بيده شيء من الأمر، إذ كان الحكم الفعلي للقائد العثماني "سفطة"[2].

و في سنة 1551 م غادر حسن آغا الجزائر بعد عزله من منصبه كبيلرباي على الجزائر[3].

عيّنت السلطة العثمانية "صالح رايس" [4] مكان حسن آغا، سنة 959هـ/ أفريل 1552م، و منذ تعيينه أدرك خطورة التهديدات السعدية للمناطق الغربية للبلاد، لذلك توجه

---

1) **حوض الشلف:** نسبة إلى وادي الشلف أكبر و أطول نهر بالجزائر، يبلغ طولح نحو 700كلم، كان مسرحا لمعارك عديدة في القرون الوسطى و العهد العثماني. **أنظر:** بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة**، مرجع سابق، ص 46.

2) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص 309.

3) يشير بعض المؤرخين أن سبب عزل حسن باشا يرجع للدور الذي قام به صهر السلطان و أحد أكبر الباشاوات و اسمه (روستان) الذي أراد الاستيلاء على الحمام الذي بناه خير الدين قبل وفاته فمنعه حسن باشا من ذلك، ما اغضب روستان الذي سعى لدى الديوان لعزله. **أنظر:** Haèdo, Op.cit, p88. أما دي قرامون فيرجع ذلك لدور السفير الفرنسي أرامون (D'Aramon) لدى الباب العالي بسبب رفض حسن باشا للتعاون مع فرنسا. **أنظر:** De Grammont, Op.cit, p 77

4) **صالح رايس:** بيلرباي الجزائر(1552 – 1556) أصله من الاسكندرية، يعد من أبرز رياس الأسطول العثماني، عرف بشجاعته الفذة، و يرجع إليه الفضل الكبير في تحقيق وحدة التراب الجزائري حيث كان أمراء تقرت و ورقلة بالجنوب الجزائري حين تولى الحكم، يرفضون دفع الضرائب المفروضة عليهم منذ أكثر من 20 سنة و لا يعترفون بسلطة الدولة الجزائرية، إلى أن قاد حملة كبيرة نحو الجنوب في اكتوبر 1552، ضمّ من خلالها إمارة بني جلاب للسلطة المركزية.=

سنة 1553م، إلى تلمسان و اطّلع عن كثب على تحصينات المدينة – الضعيفة – كما اكتشف العلاقات السرية المريبة بين الاسبان و مولاي حسن حاكم تلمسان [1].

و لإبعاد الخطر الاسباني و السعدي عن تلمسان، تم وضع حد نهائي للدولة الزيانية بالاتفاق بين صالح رايس و علماء المدينة و أعيانها، و تم خلع المولى حسن و ضمّ تلمسان نهائيا للدولة الجزائرية سنة 1554م [2]، و انتهت بذلك دولة بني زيان التي استمر حكمها ثلاثة قرون و ثمانية عشر عاما، و غادر آخر ملوكها إلى إسبانيا حيث اعتنق المسيحية و صار يعرف بالدون "كارلوس" [3]. و بانضمام تلمسان تدعّم موقع الدولة الجزائرية بالغرب، حيث صارت تلمسان قاعدة هامة للجزائر في عملياتها العسكرية ضد المواقع الاسبانية و خاصة في وهران.

د) تحرير بجاية من الاحتلال الاسباني 1555 م

بعد تأمينه للحدود الغربية للجزائر، توجّه صالح رايس بأنظاره للجهة الشرقية تحديدا مدينة بجاية التي كانت قد وقعت بيد الاحتلال الاسباني منذ سنة 1510م، حيث حاول استغلال ضعف حاميتها التي لم يكن يتواجد بها سوى خمسمائة جندي و بتسليح ضعيف، كما كانت التحصينات التي أمر شارلكان ببنائها في حالة سيئة [4].

قاد صالح رايس حملة نحو المدينة قوامها ثلاثة آلاف رجل من الفرسان و المشاة سالكا طريقا بريا، و عزّزهم أثناء طريقهم رجال زواوة من إمارة كوكو، كما أعطى رايس الأوامر لقواته البحرية بالتحرُّك نحو المدينة بقوة بحرية تتألف من 22 سفينة، تحمل اثنى عشر مدفعا من العيار الكبير، و كميات معتبرة من الأسلحة و العتاد [5].

أنظر: مبارك بن محمد الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر، ج 3، 1964، ص ص 80 – 81.

1) الجيلالي، ج3، مرجع سابق، ص 89.

2) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص 309.

3) حيمر، مرجع سابق، ص 117.

4) نفسه، ص ص 117 – 118.

5) المدني، المرجع السابق، ص 323.

و في 16 سبتمبر بدأ الجزائريون في قصف المواقع الإسبانية، و بعد قصف دام يومين تم تدمير حصن القصر الامبراطوري [1] و تحطيم القلاع و احتلالها فاضطرت الحامية الاسبانية الموجودة به للإستسلام [2].

بعد ذلك وجّه الجزائريون مدفعيتهم صوب قصر البحر(برج عبد القادر) الذي يحمي أسفل المدينة، و كان به ستون جنديا قاوموا لخمسة أيام غير أن شدة القصف دفعتهم للاستسلام، و بسقوط قصر البحر لم يتبقى أمام الجزائريين سوى عقبة (القصر الكبير) الذي يعتصم فيه القائد الاسباني "الدون لويس دي بيرالتا" (Don Louis De Beralta) و أفراد حاميته، حيث أرسل إليه صالح رايس رسالة جاء فيها: "لقد رأيت كيف أن رجالي قد استطاعوا احتلال معقلين من معاقل دفاعكم، ثم إنك و لا ريب تعلم أني قد عزمت العزم بصفة حاسمة على أخذ هذه القلعة التي تدافعون عنها أيضا، و بما أنّه قد اقتربت ساعة سقوط المدينة، و أنك لن تستطيع أصلا النجاة و الإفلات من قبضة يدي، فأنا اطلب منك أن تستسلم و أن تسلم المدينة لي، و أنا أتعهد لك مقابل ذلك أنني لن أمسك أنت و لا أي رجل من الرجال الملتفين حولك بسوء" [3].

لكن قائد الحامية رفض الاستسلام في البداية، و واصل المقاومة لخمسة أيام أخرى و حين أدرك ألاّ طائلة من استمرار المقاومة اضطر للاستسلام [4]، ليدخل صالح رايس بجاية فاتحا يوم 30 شوال 962هـ/ 28 سبتمبر 1555م، فكان تحرير مدينة بجاية انتصارا هاما للدولة الجزائرية، و صدمة مؤلمة للإسبان، و لكل الدول المسيحية [5].

---

1) بناه الإمبراطور شارلكان فترة الاحتلال الاسباني للمدينة، و أصبح يعرف بعد تحرير مدينة بجاية بـ : "برج موسى". **أنظر:** http://ar.wikipedia.org/wiki

2) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص ص 323 – 324.

3) نفسه، ص 326.

4) رغم رفض "بيرالتا" لإنذار صالح رايس و استمراره في المقاومة، إلا أن رايس وفّى له بوعده و سمح له و للجرحى و المعطوبين بالتوجه لإسبانيا، و بعودة بيرالتا إلى مدينة "أليكونت" تم توقيفه و محاكمته أمام مجلس حربي بتهمة الخيانة، و حكم عليه بالإعدام، حيث قطع رأسه في الساحة العمومية لمدينة "فلادوليد" (Valladolid) رغم أنه قدم التبريرات الكافية، و بذلك جعل منه شارلكان كبش فداء لتهدئة الغضب الاسباني من ضياع بجاية. **أنظر:** Mercier, Op.cit, p 81

5) فارس، **تاريخ الجزائر الحديث**، مرجع سابق، ص 41.

8- دور الجزائر في تحطيم المشروع الاسباني و تحرير طرابلس 1551م

وقعت طرابلس في يد الاحتلال الاسباني منذ سنة 1510م، و أُلحقت إدارتها بصقلية التي كانت حينذاك تابعة للامبراطورية الرومانية المقدّسة، و قد كان احتلالها يرجع من جهة لأهميتها من خلال تحكمها في طرق القوافل التجارية الوافدة من السودان و المحمّلة بالتوابل و الذهب، و بالتالي فقد كانت لها أهمية استراتيجية خلال القرن السادس عشر [1] و من جهة أخرى نظرا لأحوالها السياسية المضطربة، فهي تارة تابعة للسلطة المركزية للسلطان الحفصي في تونس، و تارة أخرى منفصلة عنه [2].

و بعد احتلالها بعشرين سنة و تحديدا سنة 1530م، قام شارلكان بإهداء طرابلس لفرسان القديس يوحنا [3]، مما أصبح يشكل خطرا مباشرا على مواصلات الدولة العثمانية في عرض البحر المتوسط، لذلك سعت الخلافة لتشجيع حامية عثمانية بمدينة تاجوراء [4] تمهيدا لِضمِّها [5].

لقد كان انتصار الجزائر سنة 1541م، بداية لحرب طويلة و عنيفة بين القوى الاسلامية بإشراف الخلافة العثمانية، و القوى المسيحية الأوربية التي تشرف عليها إسبانيا، أما الجزائر التي صارت القاعدة الغربية للخلافة، أو كما كان يطلق عليها (مسرح الحروب)، و حتى و لو لم يكن لها دور محوري في هذا الصراع، إلا أن موقعها المقابل للجزيرة المحصّنة لفرسان القديس يوحنا في مالطا جعلها تلعب دورا مهما، كما أن

---

1) عبد الجليل التميمي، "**رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية – المغربية في القرن 16 م** " م. ت. م، ع 29 – 30، جويلية، 1983، ص74.

2) احمد سالم، **السيطرة العثمانية ...**، مرجع سابق، ص 130.

3) **فرسان القديس مار يوحنا الأرشليمي:** أنشئت كرهبنة دينية عسكرية على يد تجار "أماليفيون" سنة 463هـ/1070م في بيت المقدس، ثم تحولت لمنظمة حربية سنة 524هـ/1130م و انتقلت إلى مدينة عكا بعد استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس سنة 583هـ /1187م، ثم لى جزيرة قبرص فجزيرة رودس سنة 1310م (فرسان رودس)، و بعد استيلاء العثمانيين على الجزيرة 1522م انتقلوا إلى مالطة (فر سان مالطة). **أنظر:** الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج3، مرجع سابق، ص67.

4) **تاجوراء:** مدينة ساحلية ليبية، تبعد عن طرابلس حوالي 20 كلم. **أنظر:**
http://ar.wikipedia.org/wiki

5) سالم، المرجع السابق، ص 131.

البحارة الجزائريين الذين درسوا فن الحرب البحرية على يد خير الدين قد لعبوا دورا هاما جدا في هذا الصراع[1].

و من أمثال هؤلاء البحارة درغوث رايس[2] الذي سطع نجمه في البحر المتوسط و راح يُغِيرُ على السواحل الاسبانية و الإيطالية، متخذا من جزيرة جربة قاعدة لأسطوله المكون من 24 سفينة، و لمّا اتَّسَع نشاطه و كَبُر أسطوله راح يبحث عن ميناء أوسع و اتّخذ المهدية كقاعدة جديدة بعد أن استولى عليها في فيفري 1550م[3].

و نظرا لازدياد نشاط درغوث في الإغارة على السواحل الاسبانية و الإيطالية انطلاقا من المهدية القريبة جدا من حلق الوادي التي كانت تابعة لإسبانيا، حدثت ازمة لإسبانيا جعلتها تحتج لدى الباب العالي بحجة نقض الخلافة للهدنة الموقعة بينهما سنة 1554م، و الواقع أن القراصنة المسيحيون المنطلقون من مالطة و صقلية و مينوركة أيضا قد نقضوا هذه الهدنة باعتداءاتهم المتكررة على الحجيج المسلمين المتوجهين من شمال افريقيا[4].

في ظل هذه الأوضاع المتأزمة سنة 1550م، طلب حاكم حلق الوادي من اندري دوريا تخليصه من درغوث، و احتلال المهدية، و بالفعل جهّز هذا الأخير أسطولا من خمسين سفينة بقيادة نائب الملك بصقلية الدون "خوان دي فيقا" (Don Juan De Vega) و بمشاركة الفرسان، تمكنت القوات الاسبانية من احتلال المهدية في 10 سبتمبر 1550م و نظرا لصعوبة الاحتفاظ بالمدينة قرر شارلكان تهديمها[5].

---

1) وولف، مرجع سابق، ص 60.

2) **درغوث رايس:** من أبرز رجال البحرية العثمانية، الذين تكونوا على يد خير الدين، ولد بجزيرة رودس سنة 1485م من أب مسلم تعرض للسر سنة 1540م، ثم فداه خير الدين سنة 1543م، فكرّس حياته للانتقام من النصارى، عُيّن حاكما على طرابلس سنة 1553م، و بقي في هذا المنصب إلى غاية وفاته سنة 1565 م اثناء حصار مالطة . **أنظر:** سالم، مرجع سابق، ص ص 132 – 133.

3) حيمر، مرجع سابق، ص ص 123– 124.

4) وولف، المرجع السابق، ص 66.

5) يلماز اوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: عدنان محمود سلمان، ط 1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988، ص 310.

أما سكانها البالغ عددهم سبعة آلاف ، فقد كان مصيرهم التشريد أو الاسترقاق[1].

و قد ردّت الخلافة العثمانية على احتلال المهدية سريعا بإرسال أسطول بحري ضخم يضم 292 سفينة تحت قيادة سنان باشا و بمساعدة كل من درغوث رايس، و صالح رايس، و في جوان 1551م وصل الأسطول العثماني إلى جزيرة مالطا فهاجمها، لكن مقاومة فرسان مالطا جعلت الأسطول العثماني ينسحب لجزيرة " قوزو" (Gozzo) في الشمال الغربي لمالطة، حيث استولوا عليها و تمكنوا من أسر ستة آلاف مسيحي، ثم عادوا لحصار طرابلس، و قد دام هذا الحصار عدة أيام، انتهى باستسلام الفرسان مقابل السماح لهم بمغادرة طرابلس، و هذا بعد تدخل السفير الفرنسي "دارامون" (D'Aramon) لدى سنان باشا، رغم عدم تحمس العثمانيين لعقد هذا الاتفاق.[2]

و هكذا تم فتح طرابلس، و ضمّها للخلافة العثمانية، و كان ذلك مكسبا هاما نحو تحقيق وحدة إسلامية متضامنة في العدوة المغربية، و متحالفة مع الخلافة العثمانية في مواجهة القوى المسيحية الأوربية[3].

9 – فشل الاسبان في مستغانم 1558 و مقتل دالكوديت

بعد وفاة صالح رايس سنة 963هـ/1556م نتيجة إصابته بمرض الطاعون انتصب على عرش الجزائر "حسن قورصو" [4]، و لم يلبث أن توفي بعد إصابته هو أيضا بالطاعون، فخلفه "يحي باشا" مدة ستة أشهر إلى غاية عودة حسن بن خير الدين كبايلرباي للجزائر مرة ثانية، حيث وصلها في جوان 1557م، على رأس قوة بحرية مؤلفة من عشرين سفينة جيدة التسليح، و بهذه القوة الإضافية سيتمكن من التصدي

1) وولف، مرجع سابق، ص 67.

2) حيمر، مرجع سابق، ص 125.

3) سالم، مرجع سابق، ص ص 133.

4) **حسن قورصو**: بيلرباي الجزائر (1556 – 1557)، أصله من مدينة كورسيكا و لذلك دعي نسبة لها (أوكورسو)، فرض طاعته على الرعية بفضل بطولاته البحرية، حيث توجّه بنفسه على رأس حملة كبيرة لتحرير وهران، و كاد أن يحقق النصر لولا استنجاد السلطان العثماني به في استانبول لتعزيز قوات المجاهدين ببحر الأرخبيل و ردّ حملة أندري دوريا عن البوسفور. **أنظر:** الجيلالي مرجع سابق، ص ص 90 – 91.

للأخطار التي كانت تهدد الجزائر و خاصة الاسبان الذين كانوا يهيئون أنفسهم لإحتلال مستغانم [1] قاعدة البحرية الجزائرية غربا في مواجهة الوجود الاسباني [2].

فبعد نجاح المساعي الحثيثة لحاكم وهران دالكوديت من أجل طلب موافقة حكومة بلاده و مساعدتها، حيث زودته باثني عشر ألف جندي، كما استجاب نبلاء إسبانيا لندائه أرسلت القوات الاسبانية إلى وهران على دفعتين، انطلقت الأولى من ميناء "قرطاجنة" بقيادة دالكوديت نفسه، و ضمّت ستة آلاف مقاتل، و وصلت إلى وهران يوم 16 جويلية 1558م، في حين انطلقت الدفعة الثانية من ميناء "ملقة" يوم 23 جويلية بقيادة "الدون مارتان" (Don Martin) ابن دالكوديت، و ضمّت خمسة آلاف مقاتل [3].

و من وهران و في الثاني و العشرين من شهر أوت سنة 1558م، انطلقت الحملة الاسبانية باتجاه مدينة مستغانم، كما انضم إليها الكثير من الأعراب يقودهم "المنصور بن بوغانم" [4]، و عندما علم حسن باشا بالحملة توجّه لصدّها على رأس خمسة آلاف جندي و ألف فارس، مزودين بعشرة مدافع، كما انضمّت إليه في طريقه أعداد معتبرة من المجاهدين الجزائريين [5]، و أعطى الأوامر للأسطول الجزائري بمهاجمة السفن الاسبانية خاصة السفن الاسبانية الأربعة المحملة بالأسلحة و المؤونة، حيث تصدّت السفن الجزائرية لها في أرزيو [6] و استولت عليها، ما أصاب القوات الاسبانية بالخيبة و فقدان المعنويات [7].

و عند وصول القوات الاسبانية لمزغران في 23 أوت و دخولها، صار الجيش الاسباني يعاني أزمة نقص تغذية بسبب رحيل سكانها قبل دخول القوات الاسبانية، و لم

---

1) **مستغانم:** مدينة ساحلية بين أرزيو و تنس، على نحو 15 كلم غربي مصب نهر الشلف. **أنظر:** بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة ...**، مرجع سابق، ص 46.

2) الجيلالي، مرجع سابق، ص ص 87–91.

3) Ruff, Op.cit, p 149.

4) Mercier , Op.cit, pp 93 – 94.

5) Belhamissi, **Histoire De Mostaganem**, Op.cit, p 78.

6) **أرزيو:** من مراسي خليج مستغانم ، لها شهرة واسعة في تاريخ البحرية الاسلامية منذ عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي حيث اتخذها دار صناعة و إحدى مراكز اسطوله، و كذلك كانت على العهد العثماني. **أنظر:** المدني، **كتاب الجزائر**، مرجع سابق، ص 244.

7) De Grammont, Op.cit, p 88.

يبقى أمام دالكوديت سوى الهجوم على مدينة مستغانم، حيث حاول اقتحامها في اليوم الموالي لكنه إصطدم بمقاومة عنيفة من طرف حامية المدينة، لكن القوات الاسبانية تمكنت في النهاية من اقتحام أسوار المدينة[1].

و بمجرد وصول قوات حسن بن خير الدين يوم 25 أوت، دخلت في معركة مع القوات الاسبانية، و أُجبِر دالكوديت مع قواته على الانسحاب، و لاحقتهم القوات الجزائرية خارج أسوار المدينة إلى غاية مزغران، و وقعت هناك معركة مصيرية قضي فيها على الجيش الاسباني ، ليتحول الانسحاب إلى هزيمة، و لمّا كان الجنود يتدافعون حول أبواب المدينة لم يكونوا يعلمون أنهم يدوسون جثة قائدهم دالكوديت الذي سقط قتيلا[2].

هكذا انتهت المعركة مساء يوم الجمعة 26 اوت 1558م بانتصار عظيم للجزائريين و بمقتل دالكوديت حاكم وهران الذي وهب حياته للمشروع الإستعماري الاسباني في المغرب الإسلامي منذ تعيينه حاكما على وهران سنة 1534م، أما ابن دالكوديت الدون مارتان فقد وقع في الأسر، و تم إطلاق سراحه بعد سنتين مقابل فدية هامة[3].

10 – أسباب فشل المشروع الاسباني

كانت هزيمة مزغران أقسى هزائم الاسبان في الغرب الجزائري، و منذ ذلك الحين لم يعودوا يفكرون في توسيع نفوذهم في المنطقة، و اقتنعوا بضرورة البقاء في مدينة وهران و المحافظة عليها، و مع ذلك ظل وضعهم يزداد سوءا تحت تأثير الحصار المفروض عليهم[4].

1) التر، مرجع سابق، ص 206.

2) اختلفت الروايات في مقتل دالكوديت، فذكر البعض أنه سقط من فرسه بعد أن شرد به، و نظرا لكبر سنه لم يستطع الوقوف فداسه جنوده، بينما يذكر آخرون أنه اصيب برصاصتين. **أنظر:** Ruff, Op.cit, p 161

3) De Grammont, Op.cit, p 90.

4) حيمر، مرجع سابق، ص 131.

كما أن الملاحظ أن الاسبان قد تركّز احتلالهم للجزائر في بعض المدن الساحلية و اقتصر أخيرا على وهران و المرسى الكبير، دون أن يتمكنوا من التوغل إلى المناطق الداخلية للبلاد باستثناء قدرة وصولهم إلى تلمسان، و بعض ضواحي معسكر [1].

و يرجع فشل المشروع الاسباني إلى عدة عوامل أهمها :

أ) استماتة الجزائريين في الدفاع عن أراضيهم:

حيث كانت السلطة الحاكمة في الجزائر تحظى بدعم الأهالي و السكان المحليين، في التصدي للحملات الأوربية الصليبية، خاصة في الأوقات الصعبة [2].

و قد تحدث "التمقروتي" [3] في رحلته (النفحة المسكية في السفار ة التركيـــة) [4] عن شجاعة الجزائريين فذكر: "الجزائر، عامرة.. كثيرة الجند حصينة .. و مرساها عامر بالسفن .. رياسها موصوفون بالشجاعة و قوة الجأش و نفوذ البصيرة في البحر، يقهرون النصارى في بلادهم، فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير و أعظم هيئة و أكثر رعبا في قلوب العدو .." [5].

و هكذا فقد كان أهالي الجزائر يعملون دور الحاجز في منع توسّع الاســبان نحــو ضواحي المدن الساحلية، و هذا ينطبق بشكل واضح على مدينة بجايــة حيــث شــهدت مقاومة عنيفة من قبل السكان و منذ الأيام الأولى للاحتلال حاصــرت القبائــل المدينــة

---

1) فكاير، مرجع سابق، ص 85.

2) نفسه، ص 85.

3) **التمقروتي:** هو أبو الحسن على بن محمد بن علي التمقروتي (نسبة لقرية تمقروت بالمغرب الأقصى) و لد حوالي 1560م و تعلم بزاوية المكان، تــقــلّد مناصب هامة و رسمية بــبلاط مــراكش و كلّفه السلطان السعدي أحمد المنصور بسفارة إلى اسطنبول، توفــي بمــراكش سنــة (1003هــ/ 1594 – 1595م). **أنظر:** بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة..**، ص 16.

4) كانت العلاقة بين السعديين و الدولة العثمانية تتصف في غالب الأحيان بالتوتر، لذلك خشي أحمد المنصور سنة 1589م، إغارة أتراك الجزائر على بلاده فأرسل التمقروتي في بعثة، و قد سجّل التمقروتي اطباعاته و ملاحظاتهه عن الجزائر في كتابه (النفحة المسكية ..) و قد اعتنى بطبعه دي كاستري (Decastries)، مــعتمدا على النسخة الوحيــدة الموجودة بالمغرب. **أنظــر:** نفســه ص ص 16 – 17.

5) نفسه، ص 57.

حصارا دائما، و لم يخرج الاسبان من المدينة إلا نادرا، بل إنهم تخلوا عن الخروج منها لأن تلك المحاولات كانت تكلفهم غاليا[1].

و لم يقتصر دور السكان المحليين في الجزائر على النشاط العسكري بل كان لهم دور في أعمال التعبئة العامة، حيث تذكر بعض التقارير الاسبانية مساندة الأهالي و تعاونهم مع الأتراك في تحصين المدن و بناء الأسوار و ترميمها، مثال ذلك التقرير الذي أرسله حاكم بجاية "فرانسيسكو بيريز دي ايديا كابيز" إلى صاحب الجلالة الملكية مؤرخ في 29 مارس 1536م جاء فيه: " و أخبرنا الأسرى المذكورون، ان الأمطار الغزيرة التي انهمرت في فصل الشتاء قد هدمت سور المدينة في ثلاث جهات و على مسافات شاسعة، و قد أقدم السكان على ترميم ما تحطم بكل سرعة، لكن العمل لم يتم إلى الآن نظرا لعدم وجود البنائين العارفين، و يقولون هنا أنهم سيستعينون بألف و خمسمائة من العرب المحيطين بالجزائر من أجل إنجاز العمل"[2].

و عموما فالعلاقة المتينة التي ربطت الجزائريين بالأتراك، و استماتتهم في الدفاع عن أرضهم، كانت سببا رئيسيا لفشل المشروع الاسباني، و ليس كما يزعم بعض المؤرخين الأوربيين في كتاباتهم عن السياسة الاسبانية في المغرب و إتباع أسلوب الاحتلال المحدود فقط[3].

ب) انفتاح الجزائر على العناصر الاجنبية:

إن توافد العنصر الأجنبي الاسلامي على الخصوص إلى الجزائر لا يعود فقط إلى بداية القرن السادس عشر الميلادي، بل يرجع لعهود سابقة بكثير، يقول جون وولف: "

---

1) الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، مرجع سابق، ص 29.

2) فكاير، مرجع سابق، ص 86.

3) في هذا الصدد ينفي المؤرخ "جوليان" وجود نية للتوسع الاسباني داخل الجزائر فيقول: " لئن كانت إسبانيا قد تخلت رغم تفوقها في الأسلحة عن تمديد و توسيع نطاق احتلالها فلأن المسألة الافريقية كانت تحتل المرتبة الثانية من اهتماماتها. إن فرديناند الكاثوليكي .. كان يتوجه على الأخص ناحية جبال البيريني (فرنسا) و ايطاليا، و قد كان عليه أن يقرأ في كل وقت حسابا للوضعية المالية الضعيفة التي تمنعه من القيام بحملات لا ترجع بالفائدة العاجلة.."، و هذا التحليل كما يرى الميلي ملاحظة لأمر واقع، أما التفسير الصحيح هولعدم توسع إسبانيا هو عنف المقاومة التي اصطدم بها الاسبان. **أنظر**: الميلي، مرجع سابق، ص ص 28 – 29.

كان لحكام الجزائر في القرن السادس عشر بحارة يحاربون في سفن القراصنة و كانوا تقريبا تحت تصرفهم، وقبل أن يضع خير الدين جماعة القراصنة تحت حماية الباب العالي، كان المجندون الشرقيون و الأندلسيون و سكان المغرب الذين تولوا الحروب البحرية هم الذين يشكلون حقا العمود الفقري لقوة سفن القرصنة"[1].

ففي عهد عروج كان الجيش يتشكل من المجاهدين الجزائريين و التونسيين و المغاربة و الزنوج، و كذلك من الأسرى المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام، في حين كان الأتراك الذين يحاربون معه قليلون جدا و ينتمون لجنسيات مختلفة يونان و شركس و روماليين و ألبان، و كثيرا ما كان النصارى الذين يقعون في الأسر يعتنقون الإسلام و كثير منهم ارتقى للمناصب السامية نتيجة كفاءاتهم الحربية البحرية، و من بين هؤلاء حسن آغا الذي يرجع أصله إلى سردينيا[2].

و قد لعبت هاته العناصر المختلفة دورا بارزا في الصراع الجزائري الاسباني طيلة فترة القرن السادس عشر الميلادي و بعده[3].

ج) التعاون مع الدولة العثمانية:

كانت الجزائر أول إقليم في شمال افريقيا و البحر المتوسط يدخل ضمن لواء الخلافة العثمانية، استجابة لسكان مدينة الجزائر، و ليس عن طريق غزو أو فتح عسكري، و اعتبرت الدولة العثمانية أن أي اعتداء خارجي عليها هو اعتداء على الدولة العثمانية، و هكذ فإن الدعم العثماني بالجنود و السلاح، ساعد الدولة الجزائرية الفتية التي اتخذت مدينة الجزائر عاصمة لها على الوقوف في وجه العدوان الاسباني و إفشال مخططاته[4].

حيث لمّا حل خير الدين باستانبول في نوفمبر 1533م، سطّر له الخليفة سليمان القانوني برنامج عمل في المستقبل، و خطّط جهاده ضد الأساطيل المسيحية المتحالفة

---

1) وولف، مرجع سابق، ص ص 106 – 107.

2) فكاير، مرجع سابق، ص ص 86 – 87.

3) جميلة ثابت، **دور الأعلاج في العلاقات ما بين الجزائر و دول غرب أوربا خلال القرنين 16 و 17م**، مذكرة ماجستير، إشراف: عمار بن خروف، جامعة غرداية، الجزائر، 2010 – 2011 ص 71–72.

4) بن اشنهو، مرجع سابق، ص 175 .

و لمّا غادر العاصمة العثمانية في 11 جوان 1534م، وكّله السلطان على 100 سفينة حربية عليها ثمانية آلاف من جنود البحرية، و عشرة آلاف من المشاة و ثمانمائة جندي انكشاري، و مكّنه من أربعمائة ألف دوقا[1].

و هكذا فقد أصبحت الجزائر منذ أن صارت إحدى إيالات الدولة العثمانية، دولة قوية ناشئة، و في المقابل اعتمد العثمانيون كثيرا في حروبهم البحرية ضد الاسبان و النصارى عموما في البحر المتوسط على البحرية الجزائرية خاصة في القرن السادس عشر الميلادي كمعركة بريفيزا سنة 1538م[2].

د) صمود مدينة الجزائر:

إن صمود مدينة الجزائر ساعد بشكل كبير على فشل الاسبان في عدم التمكن من القطر الجزائري، خاصة خلال الحملات الأولى التي وقعت خلال العقدين الأولين من القرن السادس عشر الميلادي– حملة دييغو دي فيرا سنة 1516 و حملة هيغو دي مونكادا سنة 1519 – حتى وصفت المدينة بالمحروسة[3].

و منذ نجاح مدينة الجزائر في درء أعمال العدوان الأولى هاته، فإن الحملات اللاحقة قد لاقت نفس المصير، و كانت كل مرة تزداد تحصنا، و تعزّز نظام دفاعها انطلاقا من الثغرات التي كان يتم كشف أمرها خلال الغارات المسيحية، و لهذا كثرت بها الأبراج و زيد من تشديد أسوارها، و تقوية جهازها الدفاعي حتى أصبحت قلعة تتهاوى أمامها كل الغارات المسيحية، حتى قال عنها شالر: " جميع منافذ مدينة الجزائر تحميها تحصينات منيعة مسلحة بالمدافع الثقيلة التي تجعل كل محاولة مباشرة للسفن الحربية للهجوم على المدينة محاولة ميؤسا منها، متى كان المدافعون يتمتعون ببراعة عادية و بعزيمة معقولة"[4].

---

1) بن اشنهو، مرجع سابق، ص 175.

2) فكاير، مرجع سابق، ص 91.

3) وصفت مدينة الجزائر تلك الفترة بأوصاف و أسماء عديدة منها: البهجة، المنصورة، دار الجهاد. **أنظر:** Molay Belhammissi, **Alger la Ville Mille Canons**, E. N. A. L, Alger, 1990, p9.

4) وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل امريكا في الجزائر**، تر اسماعيل العربي، ش. و. ن. ت الجزائر، 1982، ص ص 72 – 73.

هـ) وجود طبقة حاكمة قوية:

حيث تولى حكم الجزائر في بداية عهدها عدد من الحكام تميزوا بالكفاءة و القدرة على التسيير المحكم سواء على الصعيد الداخلي، أو على صعيد مواجهة التحديات الخارجية، و من أهم الشخصيات التي حكمت البلاد خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي نذكر:

– **عروج بربروسا:** الذي نظّم الإدارة و سك النقود، و أسّس جيشا قويا، و إتخذ راية رسمية تحمل ألوانا متميزة هي الأخضر و الأحمر و الأصفر[1]، و أنشأ ديوانا تناقش فيه الأمور السياسية، و ازدهرت البلاد في عهده تعليميا و اقتصاديا و عمرانيا[2].

– **خير الدين باشا:** و هو الاسم الذي ارتبط ببداية عهد الدولة الجزائرية الحديثة، حيث انتشر صيته في البحر المتوسط بفضل ما قدّمه للجزائر[3].

حسن آغا: و قد شهدت فترة حكمه أكبر حملة اسبانية على الجزائر بقيادة شارلكان نفسه لكن شجاعته حالت دون استسلام مدينة الجزائر، يقول عنه هايدو " لم يظهر أي ملك في أيّة حالة من الأحوال أكثر شجاعة و حنكة مثلما أظهر حسن آغا في تلك الظروف مع الحصار الذي ضربه عليه الامبراطور شارلكان"[4].

صالح رايس: اشتهر بتوحيده للبلاد، و تحريره بجاية سنة 1555م من الاسبان، كما كانت له منشآت و آثار عمرانية بالعاصمة، كدار السلطان (قصر الجنينة)[5].

و) انشغال إسبانيا بمشاكلها الداخلية:

منذ رحيل الملكين الكاثوليكيين شهدت إسبانيا أوضاعا داخلية صعبة منها التي عاشتها في الفترة (1519 – 1521م) بسبب اندلاع الثورات في بعض الأقاليم، حيث انشغل شارلكان بإخمادها منها الثورة في بلنسية[6] سنة 1519م، و الثورة في قشتالة

---

1) نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية و هيبتها..**، مرجع سابق، ص 142.

2) بوحوش، مرجع سابق، ص 57.

3) فكاير، مرجع سابق، ص 94.

4) Haèdo, **Histoire Des Rois D'Alger**, Op.cit 1881, p228.

5) الجيلالي، مرجع سابق، ص ص 89 – 90.

6) **بلنسية:** ثالثة كبريات مدن إسبانيا، بعد مدريد وبرشلونة، تقع على نهر توريا، على بعد 5 كم من ساحل البحر الأبيض المتوسط، حكمها المسلمون في ظل حكمهم للأندلس و ذلك سنة 96هـ، 714م=

و أشد الثورات عنفا تلك التي شهدتها مقاطعات طليلطة و سيغوفيا و سالمنكا، بين سنتي (1520 – 1521م)، إلى أن تمكّن الجيش من إخمادها بعد معركة فيالار (Villalar) في فيفري 1521، و تم القبض على زعماء الثورة، و في مقدمتهم "خوان دي باديا" (Jaun De Badia) الذين تم إعدامهم، و استسلمت المدن الثائرة ما عدا طليلطة التي قاومت بعض الوقت[1].

ولم يكن لهذه المدينة شأن يذكر، ثم ما لبث أن دخلتها قبائل بني قيس وعمّرتها فأصبحت حاضرة شرق الأندلس، وظلّت طوال مدة الحكم الإسلامي من أكثر المراكز استقرارًا وأشدها حركة وقوة. وفيها تأسست مملكة بلنسية الإسلامية 401هـ/1238 م. **أنظر: الموسوعة العربية الشاملة**، مرجع سابق.

1) فكاير، مرجع سابق، ص 96.